

الهَدَفُ مِنْ هَذِه المَدْرَسَة

صِنَاعَةُ الشَّخْصِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ النَّسَّاكَةِ المُتَأَلِّهَةِ بِعِلْمٍ


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِينَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

رَبِّ يَسِّرْ وأَعِنْ وبارِكْ وتَمِّمْ بخَيْرٍ يَا كَرِيمُ

الرَّبَّانِيَّة

مقدمة:

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ .

تَمُرُّ الأُمَّةُ الإِسْلامِيَّةُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ بِمَرْحَلَةٍ مِنْ أَخْطَرِ مَرَاحِلِهَا، كَأَنَّنِي أُشَبِّهُهَا بِعُبُورِ الجِسْرِ؛ فَكَأَنَّ الأُمَّةَ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ تُرِيدُ عُبُورَ الجِسْرِ مِنْ فَوْضَى أَحْكَامِ الجَاهِلِيَّةِ إِلَى نَوْعٍ مَبْدَئِيٍّ مِنْ مَبَادِئِ التَّمْكِينِ، وَلَا شَكَّ أَنَّنَا نُعَانِي فِي هَذِهِ الأَيَّامِ مِنْ تَحَدِّيَاتٍ جِسَامٍ تَقِفُ فِي وَجْهِ أَهْلِ الدِّينِ تَمْنَعُهُمْ مِنْ عُبُورِ هَذَا الجِسْرِ.

ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَاتِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ عَانَتْ عُقُودًا طَوِيلَةً لِلْوُصُولِ إِلَى هَذَا الجِسْرِ، فَلَمَّا أَنْ عَايَنَتْهُ فُتِنَ عَلَى أَبْوَابِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَتَغَيَّرَتِ الأَحْوَالُ، وَتُنُوزِلَ عَنْ مَبَادِئَ، وَتُخُلِّيَ عَنْ أُصُولٍ، وَتَمَيَّعَتْ كَثِيرٌ مِنَ المَسَائِلِ.

مِنْ أَجْلِ كُلِّ ذَلِكَ وَفِي ظِلِّ تِلْكَ الظُّرُوفِ، وَلِمُوَاجَهَةِ جَمِيعِ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تُحِيطُ بِالمُحِيطِ الدَّعَوِيِّ مِنْ جَمِيعِ الاتِّجَاهَاتِ؛ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ التَّمَايُزِ بَيْنَ الصُّفُوفِ؛ لِنَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ نُؤْتَى، وَتِلْكَ كَانَتْ سُنَّةً سَنَّهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ ﵁ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ حِينَ قُتِلَ مِنْ قُوَّادِ الجَيْشِ ثَلاثَةٌ، فَلَمَّا تَوَلَّى هُوَ قَالَ: "تَمَايَزُوا أَيُّهَا النَّاسُ حَتَّى نَدْرِيَ مِنْ أَيْنَ نُؤْتَى". فَلَمَّا تَمَايَزُوا كَتَبَ اللهُ النَّجَاةَ لِلْجَيْشِ بِالكَامِلِ.

وَهُنَا فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ اضْطَرَرْنَا اضْطِرَارًا لِهَذَا التَّمَايُزِ

- مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَمَايَزَ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَبَادِئِ السَّلَفِيَّةِ وَثَبَتَ عَلَى أُصُولِهَا مِمَّنْ قَدَّمَ التَّنَازُلَاتِ وَجَزَّأَ المَبَادِئَ.
- مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَمَايَزَ مَنْ لَمْ تُغَيِّرْهُ الظُّرُوفُ وَلَا الضُّغُوطُ، عَمَّنْ حَوَّلَتْهُ الْأَوْضَاعُ مِنَ الْإِفْرَاطِ إِلَى التَّفْرِيطِ.
- مِنْ أَجْلِ التَّمَايُزِ فِي الدَّعْوَةِ فَقَطْ وَسَطَ هَذِهِ الِاضْطِرَابَاتِ العَنِيفَةِ فِكْرِيًّا وَحَرَكِيًّا وَعِلْمِيًّا وَدَعَوِيًّا.

فَكَانَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ: "الْمَدْرَسَةُ الرَّبَّانِيَّةُ"

فَقَدْ تَأَسَّسَتْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ فِي هَذِهِ الآوِنَةِ الْخَطِيرَةِ؛ لِتَرْبِيَةِ جِيلٍ عَلَى مَنْهَجِ اللهِ؛ فَهِيَ رَبَّانِيَّةُ الْمَصْدَرِ وَالدَّلِيلِ وَالدَّلَالَةِ؛ مِنْ كِتَابِ اللهِ اسْتَقَتْ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ارْتَوَتْ، وَعَلَى هَدْيِ السَّلَفِ انْطَلَقَتْ.

قَامَتْ تِلْكَ الدَّعْوَةُ -بِفَضْلِ اللهِ وَحْدَهُ- عَلَى أُصُولٍ رَاسِخَةٍ، وَمُنْطَلَقَاتٍ ثَابِتَةٍ، وَاقْتَدَتْ بِهَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الدَّعْوَةِ عَامَّةً، وَاقْتَفَتْ أَثَرَ الْمُصْطَفَى ﷺ وَأَصْحَابِهِ خَاصَّةً. عَلَى بَصِيرَةٍ بِالْإِسْلَامِ عَقِيدَةً وَشَرِيعَةً وَأَخْلَاقًا. وَعَلَى بَصِيرَةٍ بِالنَّاسِ أَصْنَافًا وَأَحْوَالًا. وَعَلَى بَصِيرَةٍ بِالدَّعْوَةِ أُصُولًا وَأَسْبَابًا.

فَهِيَ لَيْسَتْ بِدْعًا مِنَ الدَّعَوَاتِ؛ بَلْ إِنَّ نَسَبَهَا فِي كِتَابِ اللهِ مَسْطُورَةٌ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَيْهَا كَثِيرَةٌ مَنْشُورَةٌ، أَمَرَ رَبُّنَا بِهَا وَرَغَّبَ فِيهَا؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾؛ فَهِيَ امْتِثَالٌ لِأَمْرِ اللهِ وَإِرَادَتِهِ طَلَبًا لِرِضَاهُ وَجَنَّتِهِ.

إِنَّ الرَّبَّانِيَّةَ هِيَ تَحَقُّقٌ بِتِلْكَ الصِّلَةِ الْوَثِيقَةِ بِاللهِ تَعَالَى؛ أَدَاءً لِلْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابًا لِلْمَحَارِمِ، وَاسْتِدَامَةً لِلذِّكْرِ، وَعِنَايَةً بِالشُّكْرِ، وَتَحَلِّيًا بِالصَّبْرِ، وَإِيثَارًا لِلْإِيثَارِ، وَانْتِشَاحًا بِالْيَقِينِ، وَتَلَذُّذًا بِالصِّيَامِ، وَتَنَعُّمًا بِالْقِيَامِ، وَتَرْبِيَةً بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ، أُولَئِكَ الرَّبَّانِيُّونَ؛ فَهُمُ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ، وَالْحُكَمَاءُ الْمُرَبُّونَ، وَالْفُقَهَاءُ الْمُعَلِّمُونَ.

وَقَدْ وُصِفَ الرَّبَّانِيُّونَ: بِأَنَّهُمْ عُلَمَاءُ قَامُوا بِشَرْطِ العِلْمِ، ثُمَّ عَمِلُوا بِهِ، ثُمَّ تَحَقَّقُوا فِي العَمَلِ؛ فَجَمَعُوا بِذَلِكَ بَيْنَ العِلْمِ والحَقِيقَةِ وَالْعَمَلِ. وَوُصِفُوا: بِأَنَّهُمْ حُلَمَاءُ أَتْقِيَاءُ لَا يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَلَا يَفْتُرُونَ عَنْ ذِكْرِهِ وَحَمْدِهِ، حَيَاتُهُمْ عِبَادَةٌ، وَمُنَاجَاتُهُمْ حُبٌّ، وَذَوْقُهُمْ عِلْمٌ، وخُلُقُهُمْ قُرْآنٌ.

إِنَّ سِيَاجَ الرَّبَّانِيَّةِ يُقِيمُ فِي قَلْبِ المُتَرَبِّي فُرْقَانًا بَيْنَ الحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَيُنْشِئُ حَاجِزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُضِلَّاتِ الفِتَنِ، وَيَضْبِطُ السُّلُوكَ، وَيُقِيمُ الجَوَارِحَ عَلَى رِعَايَةِ السُّنَنِ، والهَدْيِ الظَّاهِرِ، وَحُسْنِ السَّمْتِ، وَمُلَازَمَةِ الْأَدَبِ، وَإِذَا كَانَ الإِسْلَامُ هُوَ الحَلَّ لِمَشَاكِلِ البَشَرِيَّةِ؛ فَإِنَّ مَنْهَجَ التَّرْبِيَةِ عَلَى الرَّبَّانِيَّةِ هُوَ الحَلُّ لِمُعْظَمِ مُشْكِلَاتِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

وَمِنْ أَخَصِّ صِفَاتِ تِلْكَ الدَّعْوَةِ الرَّبَّانِيَّةِ: أَنَّهَا تُرَبِّي أَبْنَاءَهَا عَلَى الأُلْفَةِ والوَحْدَةِ وعَدَمِ التَّعَصُّبِ لِلْمُسَمَّى؛ وَإِنَّمَا الهَدَفُ تَمَايُزُ الصَّفِّ لِمَعْرِفَةِ مَنْ يَجْلِسُ عَلَى كُلِّ المَوَائِدِ مِمَّنْ يَجْلِسُ عَلَى مَائِدَةِ الشَّرْبِ الْأَوَّلِ. فَمَا كَانَ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ أَنْ تُفَرِّقَ الأُمَّةَ أَوْ تُقَدِّمَ مَصْلَحَةَ طَائِفَةٍ حِزْبِيَّةٍ عَلَى مَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ الكُلِّيَّةِ.

كَمَا أَنَّنَا لَا نَزْعُمُ أَنَّنَا وَحْدَنَا الصَّوَابُ وَغَيْرَنَا خَطَأٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ وَلَكِنَّهُ اجْتِهَادٌ فِي مَجَالِ التَّرْبِيَةِ وَتَعْلِيمِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَرُكْنِ التَّزْكِيَةِ والتَّصْفِيَةِ ظَهَرَ فِي صُورَةِ تِلْكَ المَدْرَسَةِ الجَدِيدَةِ الَّتِي يَسَّرَهَا اللهُ لِلأُمَّةِ؛ لِتُحْيِيَ رُوحًا فِي الْأُمَّةِ مِنْ جَدِيدٍ، حَامِلَةً لِمَعَانِي إِيمَانِيَّةٍ سَامِيَةٍ عَالِيَةٍ، وَأَشْوَاقًا رُوحِيَّةً عَزِيزَةً غَالِيَةً، حِينَ تَقُومُ فِي الْأُمَّةِ تِلْكَ الفِئَاتُ المُتَأَهِّلَةُ المُتَأَلِّهَةُ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ.

وقَدْ قُمْتُ -مُسْتَعِينًا بِاللهِ- بِالتَّخْطِيطِ لِهَذِهِ المَدْرَسَةِ؛ فَوَضَعْتُ المَنَاهِجَ العِلْمِيَّةَ والعَمَلِيَّةَ والدَّعَوِيَّةَ مُرَاعِيًا طَرِيقَةَ السَّلَفِ فِي الطَّلَبِ والتَّطْبِيقِ، بَعِيدًا عَنْ تَنْظِيرٍ عَقِيمٍ أَوْ تَعْسِيرٍ مُقْعِدٍ؛ وَسَيَجِدُ كُلُّ مُسْلِمٍ -بِإِذْنِ اللهِ- بُغْيَتَهُ فِي هَذِهِ المَدْرَسَةِ حِينَ يَتَرَبَّى هُوَ وَأَوْلَادُهُ وَأَهْلُهُ ومَنْ حَوْلَهُ عَلَى تِلْكَ المَنَاهِجِ الَّتِي وُضِعَتْ بِضَوَابِطَ دَقِيقَةٍ رُوعِيَ فِيهَا المَرْحَلِيَّةُ وَالتَّدَرُّجُ بِخُطًى ثَابِتَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ هذا لَمْ يَكُنْ وَلِيدَ اللَّحْظَةِ؛ بل إِنَّهُ عُصَارَةُ فِكْرٍ دائِمٍ، وَقِراءَاتٍ عَمِيقَةٍ مُتَأَنِّيَةٍ، وَتَجَارِبَ كَثِيرَةٍ مُتَكَرِّرَةٍ، وخِبْرَةُ سِنِينٍ طَويلَةٍ فِي الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ، مَعَ مُعَايَشَةٍ لأَحْوَالِ الدَّعَوَاتِ الأُخْرَى ومُحَاوَرةِ أَتْبَاعِهَا، وَكذلكَ احْتِكاكٌ مُبَاشِرٌ بشَبابِ الصَّحْوَةِ ومَشَاكِلِهِمْ المُعَقَّدَةِ والمُتَعَدِّدَةِ؛ أَكْسَبَتِ النَّفسَ شَجاعَةً وثِقَةً ويَقِينًا فِي المَنْهَجِ والثَّبَاتِ عَلَيْهِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ مَهْمَا تَغَيَّرَتِ الحَوادِثُ أَوْ تَكالَبَتِ الفِتَنُ.

هَذا . . وإِنِّي لا أَدَّعِي لِنَفْسِي مَا لَيْس لَهَا بِهِ عِلْمٌ، ولَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ تَقْصِيرِهَا فِي حَقّ رَبِّهَا؛ لَكِنَّهُ مَحْضُ فَضلِ اللهِ عَلَيَّ، ورَحْمَتُهُ بِي، وكَرَمُهُ الزَّائِدُ الَّذِي عَجَزَ عَنْهُ شُكْرِي؛ فَمَا فِيهِ مِنْ حَقّ وَصَوابٍ فَهُوَ مِنَّةُ اللهِ وتَوْفِيقُهُ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَطأٍ أَوْ زَلَلٍ فَإِنِّي مِنْهُ تَائِبٌ وإِلَى الصَّوَابِ رَاجِعٌ، وَبِالْحَقّ أَنَا مُلْتَزِمٌ إِنْ شَاءَ اللهُ.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .
وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ
وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَكَتَبَ
خَادِمُ الْمَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ
مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنٍ آلِ يَعْقُوب
غَفَرَ اللهُ لَهُ وِلِوَالِدَيْهِ وَلِزَوْجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.
وَكَانَ خِتَامُهُ صَبِيحَةَ الجُمُعَةِ ٣/ ٥/ ١٤٣٤ هـ
الموافق ١٥/ ٣/ ٢٠١٣ م



١. هِيَ مَدْرَسَةٌ وَدَعْوَةٌ مُتَخَصِّصَةٌ دَاخِلَ التَّيَّارِ السَّلَفِيِّ الْعَامِّ؛ لِلْقِيَامِ بِبِنَاءِ الرِّجَالِ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ عَلَى إِقَامَةِ دِينِ اللهِ، وَنَشْرِ مَعَانِيهِ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ فِي شَتَّى الثُّغُورِ، وَيَحْرُسُونَ ثَوَابِتَهُ مِنْ خِلَالِ بَرَامِجَ تَرْبَوِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ وَتَعَبُّدِيَّةٍ، عَلَى مَنْهَجٍ تَرْبَوِيٍّ وَاضِحٍ بِخُطُوَاتٍ مُتَدَرِّجَةٍ؛ لِيَقُومُوا بِوَظَائِفِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ.

٢. الْمَدْرَسَةُ جُزْءٌ مِنَ الصَّفِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَمَعَايِيرُ تَقْيِيمِ الْوَافِدِ إِلَيْهَا هِيَ مَعَايِيرُ الدِّينِ الْعَامَّةُ. وَالطَّاقَاتُ الَّتِي لَمْ تَنْدَمِجْ فِي الْعَمَلِ وَلَهَا مَكَانَةٌ فِي الْوَاقِعِ الدَّعَوِيِّ السَّلَفِيِّ تَبْقَى مَنْزِلَتُهَا مَحْفُوظَةً، وَمَقَامُهَا مَعْلُومًا، وَتَمْتَدُّ إِلَيْهَا يَدُ الْمَدْرَسَةِ بِالْحُبِّ وَالدَّعْمِ وَالتَّعَاوُنِ، وَتَتْرُكُ لَهَا الِانْضِوَاءَ عَلَى مَكَانَتِهَا، وَيَكُونُ مِعْيَارُ التَّقْيِيمِ بَيْنَنَا هُوَ مِعْيَارَ الدِّينِ الْعَامِّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٣. لَا نَتَعَصَّبُ لِرَأْيٍ وَلَا لِشَخْصٍ وَلَا لِاسْمٍ، وَلَسْنَا حِزْبًا أَوْ جَمَاعَةً، وَلَا نَنْتَمِي إِلَى حِزْبٍ أَوْ جَمَاعَةٍ.

٤. وَلَاؤُنَا للهِ ﷻ وَلِلرَّسُولِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ لَا نُوَالِي وَلَا نُعَادِي إِلَّا عَلَى ذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

قَالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه اللهُ: «فَدِينُ الْمُسْلِمِينَ مَبْنِيٌّ عَلَى: اتّبَاعِ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَا اتفقتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ؛ فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ أُصُولٌ مَعْصُومَةٌ، وَمَا تَنَازَعَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ رَدُّوهُ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ.

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُنَصّبَ لِلْأُمَّةِ شَخْصًا يَدْعُو إلَى طَرِيقَتِهِ وَيُوَالِي وَيُعَادِي عَلَيْهَا غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يُنَصّبَ لَهُمْ كَلَامًا يُوَالِي عَلَيْهِ وَيُعَادِي عليه غَيْرَ كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ؛ بَلْ هَذَا مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الْبِدَعِ الَّذِينَ يَنْصِبُونَ لَهُمْ شَخْصًا أَوْ كَلَامًا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ يُوَالُونَ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْكَلَامِ أَوْ تِلْكَ النِّسْبَةِ وَيُعَادُونَ» (مجموع الفتاوى: ٢٠/ ١٦٤).

فَنَحْنُ لَا نُوَالِي وَلَا نُعَادِي عَلَى كَلَامٍ وَلَا عَلَى اسْمٍ وَلَا عَلَى نِسْبَةٍ؛ بَلْ نَحْنُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

٥. إنَّنَا نَسْعَى لِإِقَامَةِ الدِّينِ لَا لِإِقَامَةِ أَسْمَاءٍ، بِفِقْهِ التَّسَامُحِ مَعَ الكُلِّ، والتَّجْمِيعِ على المَنْهَجِ، ونَشْرِ الخيرِ، والبَذْلِ للدّينِ بِإِخْلَاصٍ، والعَمَلِ على التَّمْكِينِ لِلدِّينِ فِي القُلوبِ وعلى أَرْضِ الواقِعِ.

٦. لَا يَتَعَامَلُ أَحَدٌ فِي المدْرَسَةِ بِسِيَاسَةِ: (أَنَا الْأَصْلُ)؛ إنَّمَا هِيَ دَعْوَةُ اللهِ وباللهِ، وليستْ لِشَخْصٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ؛ إنَّمَا هِيَ تَعَاوُنٌ لِلقِيَامِ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الدِّينِ، وَهُوَ تَرْبِيَةُ نَشْءٍ مُحْتَرِفِينَ عَامِلِينَ عَلَى ثُغُورِ الدَّعْوَةِ، لَيْسُوا نُمُوذَجًا وَاحِدًا لِتَصَوُّرٍ جُزْئِيٍّ مِنْ تَصَوُّرَاتِ أَحَدِ فُرُوعِ الدِّينِ؛ بَلِ الشَّخْصِيَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ المتَكَامِلَةُ الْمُتَمَيِّزَةُ.

٧. الْهَدَفُ الأَصِيلُ لِهَذِهِ الْمَدْرَسَةِ: هُوَ التَّرْبِيَةُ وَالتَّزْكِيَةُ والتَّصْفِيَةُ؛ فَلَيْسَ غَرَضُهَا تَعْلِيمَ الْعِلْمِ الْأَكَادِيمِيِّ البَحْتِ فقط، وَلَيْسَتِ الفِئَةُ الْمُسْتَهْدَفَةُ هِيَ طَلَبَةَ العِلْمِ الْمُتَخَصّصِينَ وَحْدَهُمْ؛ بَلِ الْهَدَفُ تَعْلِيمُ العِلْمِ لِلتَّزْكِيَةِ بِغَرَضِ رَفْعِ الجَهْلِ عَنْ عَامَّةِ الأُمَّةِ. وَالْفِئَةُ الْمُسْتَهْدَفَةُ هُمْ عَوَامُّ الْمُسْلِمِينَ والْمُبْتَدِئُونَ فِي الالتِزَامِ بِطَرِيقِ الدِّينِ؛ لِنَقْلِ أَقْدَامِهِمْ عَلَى طَرِيقِ طَلَبِ العِلْمِ مِنْ أَوَّلِ دَرَجَةٍ فِيهِ بِتَحْصِيلِ فُرُوضِ الأَعْيَانِ وَمَا لَا يَسَعُ الْمُسْلِمَ جَهْلُهُ، ثُمَّ التَّدَرُّجُ فِي طَلَبِهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

٨. الرَّبَّانِيُّ لَا يُخَاصِمُ وَلَا يُعَاتِبُ وَلَا يُطَالِبُ؛ فَنَحْنُ لَا نُنَافِسُ أَحَدًا مِنَ الْجَمَاعَاتِ الْعَامِلَةِ عَلَى السَّاحَةِ، وَلَا نُشَغِّبُ عَلَيهِ، وَلَا نُحَارِبُ، وَلَا نُخَاصِمُ، وَلَا نُجَادِلُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا).

٩. لا نُصْلِحُ العِوَجَ وَالخَلَلَ بِالمَعْصِيَةِ، وَلَا نُقَابِلُ الهَدْمَ بِالهَدْمِ، وَلَا نَدْفَعُ الظُّلْمَ بِظُلْمٍ؛ إِنَّمَا بِالتَّسَامُحِ، وَالعَفْوِ، وَالصَّبْرِ، وَالرِّضَا، وَالاسْتِمْرَارِ، ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

١٠. نَعْتَبِرُ أَيَّ عَمَلٍ دَعَوِيٍّ آخَرَ عَلَى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ تَعْزِيزًا وَنُصْرَةً، وَنَفْرَحُ بِهِ، وَنُؤْمِنُ أَنَّهُ لَا يَقِلُّ أَهَمِّيَّةً فِي الوَاقِعِ عَنْ دَوْرِ المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَنَرْجُو أَنْ يَعْمَلَ الكُلُّ لِنَصْرِ دِينِ اللهِ، وَنَفْرَحُ بِكُلِّ عَمَلٍ جَدِيدٍ عَلَى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَنَرْجُو لَهُ كُلَّ خَيْرٍ، وَنُسَاعِدُهُ وَنُعَاوِنُهُ مَا أَمْكَنَ لِحَمْلِ العِبْءِ الضَّخْمِ وَالمِيرَاثِ الثَّقِيلِ: مِيرَاثِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِيُنْشَرَ الفِكْرُ الرَّبَّانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؛ فَتَتَعَاوَنُ المَدْرَسَةُ بِسَعَةِ صَدْرٍ مَعَ كَافَّةِ العَامِلِينَ فِي الصَّفِّ الإِسْلَامِيِّ.

١١. تَهْدِفُ المَدْرَسَةُ الرَّبَّانِيَّةُ إِلَى بِنَاءِ رِجَالٍ ذَوِي فَهْمٍ عَالٍ وَارْتِبَاطٍ وَثِيقٍ قَوِيٍّ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، رِجَالٍ أَصْحَابِ عِبَادَةٍ، وَتَأَلُّهٍ، وَتَنَسُّكٍ، وَعِلْمٍ رَاسِخٍ، وَمَنْهَجِيَّةٍ ثَابِتَةٍ؛ يَعْمَلُونَ عَلَى مُخْتَلَفِ الثُّغُورِ.

١٢. لَا تَحْتَكِرُ المَدْرَسَةُ خَيْرَهَا (أَخْذًا وَعَطَاءً) عَلَى المُنْتَمِينَ لَهَا، وَلَا تَحْصِرُ الدِّينَ عَلَيْهَا، وَلَا تَحْتَكِرُ أَتْبَاعَهَا الذِينَ رَبَّتْهُمْ وَعَلَّمَتْهُمْ؛ بَلْ تُطْلِقُهُمْ لِيَتَوَسَّعُوا، وَيُطَوِّرُوا، وَيُصْلِحُوا الوَاقِعَ، وَتَرْجُو أَنْ يَعْمَلَ كُلُّ الدُّعَاةِ الصَّادِقِينَ تَحْتَ رَايَتِهَا وَيَكُونُوا عَامِلِينَ ضِمْنَ رِجَالِهَا إِنْ أَحَبُّوا ذَلِكَ وَرَضُوهُ؛ وَإِلَّا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

١٣. إِذَا تَعَارَضَ البِنَاءُ مَعَ الانْتِشَارِ يُقَدَّمُ البِنَاءُ، وَإِذَا تَعَارَضَ بِنَاءُ الرِّجَالِ مَعَ بِنَاءِ الأَعْمَالِ يُقَدَّمُ بِنَاءُ الرِّجَالِ، وَإِذَا تَعَارَضَتِ المَبَادِئُ الكُلِّيَّةُ لِلْمَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ مَعَ رِضَا الرِّجَالِ تُقَدَّمُ المَبَادِئُ.

١٤. مِنْ أَخْطَرِ مَظَاهِرِ الأَنَانِيَّةِ الَّتِي تُدَمِّرُ الأُمَّةَ عَلَى أَعْلَى مُسْتَوًى (الأَفْرَادِ وَالتَّنْظِيمَاتِ وَالهَيْئَاتِ وَالجَمَاعَاتِ): شُعُورُ الأَفْرَادِ أَنَّ مَصَالِحَهُمْ الشَّخْصِيَّةَ وَمَطَامِعَهُمْ الذَّاتِيَّةَ أَهَمُّ مِنْ أَهْدَافِ الدِّينِ العَامَّةِ؛ لِذَلِكَ تُقَدِّمُ المَدْرَسَةُ الرَّبَّانِيَّةُ أَهْدَافَ الدِّينِ وَمَعَايِيرَهُ العَامَّةَ دَائِمًا عَلَى كُلِّ المَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ وَالآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ.

١٥. الدَّعْوَةُ الرَّبَّانِيَّةُ تُوقِنُ أَنَّ النَّصْرَ بِيَدِ اللهِ، وَالحِفْظَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَلَيْسَ بِالمُغَالَبَةِ فَقَطْ، وَأَنَّ اللهَ سَيُمَكِّنُ لِمَنْ أَرَادَ رَفْعَ رَايَةِ الإِسْلَامِ بِصِدْقٍ وَتَمْكِينَ كَلِمَتِهِ فِي القُلُوبِ بِحَقٍّ، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ الرَّبَّانِيَّةَ تَنْطَلِقُ مُتَوَكِّلَةً عَلَى اللهِ، مُسْتَعِينَةً بِاللهِ، تُفَوِّضُ أَمْرَهَا إِلَى اللهِ؛ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.



١. التَّوْحِيدُ: الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ بِشُمُولِهِ، وَصِحَّةِ الاعْتِقَادِ وَالمَنْهَجِ.
٢. السُّنِّيَّةُ: بِالاتِّبَاعِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَنِ كُلِّهَا وَإِحْيَائِهَا.
٣. التَّأْصِيلُ: الاسْتِنَادُ إِلَى الدَّلِيلِ، وَالرُّجُوعُ إِلَى الأُصُولِ، وَالالْتِزَامُ بِفَهْمِ السَّلَفِ.
٤. الشُّمُولُ: أَخْذُ الدِّينِ كُلِّهِ، وَإِقَامَتُهُ جَمِيعًا، وَعَدَمُ التَّفْرِيطِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ.
٥. القُوَّةُ فِي دِينِ اللهِ: الأَخْذُ بِالعَزَائِمِ، وَعَدَمُ تَقْدِيمِ التَّنَازُلَاتِ عَلَى حِسَابِ الدِّينِ
٦. التَّكَامُلُ وَالتَّوَازُنُ: تَكَامُلٌ وَتَوَازُنٌ فِي الأَوْلَوِيَّاتِ وَالغَايَاتِ وَالمُنْطَلَقَاتِ وَالمَبَادِئِ
٧. الوُضُوحُ وَالوَاقِعِيَّةُ: نَعِيشُ عَصْرَنَا عَلَى مَنْهَجِنَا: الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَنُعَالِجُ وَاقِعَنَا بِمَوْضُوعِيَّةٍ وَصَرَاحَةٍ؛ لَا نَعِيشُ الوَهْمَ، وَلَا نَفْتَرِي الدَّعَاوَى.
٨. التَّعَاوُنُ: تَعَاوُنٌ مَعَ كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ للهِ فِي الحَقْلِ الإِسْلَامِيِّ عَلَى الحَقِّ بِحَقٍّ، وَنُحِبُّ وَنُوَالِي فِي اللهِ لَا غَيْرَ.
٩. الثَّبَاتُ: عَدَمُ التَّلَوُّنِ عَلَى الدِّينِ، وَنَبْذُ الخِلَافِ وَالفُرْقَةِ.
١٠. الاسْتِمْرَارُ: مُدَاوَمَةُ العَمَلِ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ وَعَدَمُ الاسْتِعْجَالِ.



١. حِرَاسَةُ دِينِ الأُمَّةِ وَثَوَابِتِهَا وَأُصُولِهَا؛ وَذَلِكَ بِالوَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ المَشْرُوعَةِ:

أ- تَعْلِيمُ العِلمِ الشَّرْعِيِ بِجَمِيعِ فُرُوعِهِ، بِطَرِيقِ التَّلقي وَالتَّلقِينِ.

ب- العَمَلِ بِهِ، وَإِظْهَارُ القُدْوَةِ الصَّالِحَةِ، وَالنَّمُوذَجِ الرَّبَّانِيِّ.

ت- الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ بِرِفقٍ وَتُؤَدَةٍ، وَبَثُّهُ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الأُمَّةِ عَلَى المَنْهَجِ الرَّبَّانِيِّ.

٢. إِبْرَازُ جَانِبِ التَّزْكِيَةِ وَالتَّرْكِيزُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ البِدَايَةِ وَالغَايَةِ؛ وَذَلِكَ بِالعِلمِ الصَّحِيحِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

٣. صِنَاعَةُ الشَّخْصِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ النَّسَّاكَةِ المُتَأَلِّهَةِ بِعِلْمٍ؛ وَذَلِكَ بِمَجْمُوعَةِ البَرَامِجِ، وَالمَنَاهِجِ، وَالأَسَالِيبِ، وَالخُطُوَاتِ المَدْرُوسَةِ التِي تَضَعُهَا المَدْرَسَةُ لِلسَّالِكِينَ.

٤. التَّغْيِيرُ وَالعَمَلِ لِلتَّمْكِينِ؛ وَذَلِكَ بِمُرَاعَاةِ سُنَنِ اللهِ الكَوْنِيَّةِ فِي التَّغْيِيرِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الرَّبَّانِيَّةِ فِي مُعَامَلَةِ الوَاقِعِ.

٥. الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ بِمَعْرُوفٍ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ بِغَيْرِ مُنْكَرٍ، وَالجَهْرُ بِالحَقِّ بِحَقٍّ، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

٦. تَيْسِيرُ العِلْمِ وَتَبْسِيطُهُ وَتَسْهِيلُهُ، وَبَذْلُهُ لِعَامَّةِ الأُمَّةِ، وَمُحَارَبَةُ الجَهْلِ بِجَمِيعِ صُوَرِه.

٧. إِيجَادُ بِيئَةٍ إِيمَانِيَّةٍ فِي كُلِّ مَنْطَقَةٍ؛ يَأْوِي إِلَيْهَا الرَّبَّانِيُّ فَيَجِدُ الوَسَطَ الإِيمَانِيَّ الذِي يَرْوِي ظَمَأَهُ وَيُحْيِي قَلبَهُ وَيُجَدِّدُ فِيه إِيمَانَهُ.

٨. إِيجَادُ الشَّيْخِ الرَّبَّانِيِّ المُتَكَامِلِ المُرَبِّي، الذِي يُتَابِعُ مَن احْتَاجَ إِلَى المُتَابَعَةِ؛ لِشَدِّ أَزْرِ المُبْتَدِئِينَ.

٩. إِحْيَاءُ القِيَمِ وَالأُصُولِ وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَالأَدَبِ فِي شَتَّى مَجَالَاتِ الحَيَاةِ.

١٠. إِعَادَةُ الحَيَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ لِلوَاقِعِ؛ وَذَلِكَ بِالمُشَارَكَةِ الإِيجَابِيَّةِ الفَعَّالَةِ، وَتَثْبِيتِ أَرْكَانِ وَدَعَائِمِ فَهْمِ السَّلَفِ لِلدِّينِ وَالحَيَاةِ.



أَبْرَزُ المَعَانِي لِلعَابِدِ الرَّبَّانِي

١- السَّمْتُ الصَّالِحُ وَالهَدْيُ الصَّالِحُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الْهَدْيُ الصَّالِحُ، وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ، وَالاقْتِصَادُ؛ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ) .

أ- فَالتَّمَسُّكُ بِاللِّحْيَةِ، وَعَدَمُ الانْتِقَاصِ مِنْ طُولِهَا أَوْ عَرْضِهَا هُوَ الفَرْضُ اللَّازِمُ المُتَحَتِّمُ عَلَى الرَّبَّانِيِّ.

ب- الالْتِزَامُ بِالقَمِيصِ وَغِطَاءِ الرَّأْسِ هُمَا السُّنَّةُ المَحْضُ فِي حَقِّ الرَّبَّانِيِّ. وَحُبُّ البَيَاضِ مِنَ الثِّيَابِ فِي اللُّبْسِ هُوَ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ. وَهُمَا شِعَارُ الرَّبَّانِيِّ.

جـ- تَقْصِيرُ الثَّوْبِ فَوْقَ الكَعْبَيْنِ فَرْضٌ، وَالالْتِزَامُ بِالنَّظَافَةِ التَّامَّةِ، وَحُبُّ الطِّيبِ وَالسِّوَاكِ، وَالمَظْهَرُ الجَمِيلُ أَيْضًا مِنَ الأُصُولِ العَامَّةِ لِلعَبْدِ الرَّبَّانِيِّ.

٢- الرَّبَّانِيُّ يُحِبُّ الخَلْوَةَ وَالخُمُولَ، مُسْتَمْسِكٌ بِعَدَمِ التَّنَافُسِ عَلَى الشُّهْرَةِ وَالظُّهُورِ، قَلِيلُ الكَلَامِ، كَثِيرُ العَمَلِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنِ النَّجَاةِ: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ) .

٣- الرَّبَّانِيُّ حَرِيصٌ عَلَى إِحْيَاءِ المَعَانِي الرَّبَّانِيَّةِ بِطَرِيقَةٍ سُنِّيَّةٍ صَحِيحَةٍ عَلَى مُقْتَضَى الدَّلِيلِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ: كَالأُنْسِ بِاللهِ، وَالإِخْبَاتِ، وَالشَّوْقِ لِلِقَاءِ اللهِ، وَالرِّضَا بِاللهِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ المَعَانِي الإِيمَانِيَّةِ.

٤- الرَّبَّانِيُّ عِبَادَاتُهُ تَلْزَمُهُ بِعَدَمِ التَّوَسُّعِ فِي المُبَاحَاتِ، أَوْ الانْغِمَاسِ فِي الشَّهَوَاتِ، وَالأَخْذِ بِمَبْدَأِ الاحْتِيَاطِ لِلدِّينِ؛ فَفَرْقٌ بَيْنَ الفَتْوَى وَالتَّقْوَى، وَالرَّبَّانِيُّ يَجْتَهِدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ: يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالتَّقْوَى وَالوَرَعِ.

٥- الرَّبَّانِيُّ يَحْرِصُ كُلَّ الحِرْصِ عَلَى الصُّحْبَةِ الصَالِحَة، وَيَبْتَعِدُ كُلَّ البُعْدِ عَنْ مُخَالَطَةِ الفُسَّاقِ وَالفُجَّارِ، وَمَنْ يُظْهِرُونَ العَدَاوَةَ للدِّينِ. ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

٦- الرَّبَّانِيُّ مَشْغُولُ القَلْبِ دَوْمًا بِالرَّبِّ سُبْحَانَهُ، وَالمَشْغُولُ لَا يُشْغَلُ؛ فَلَا يَشْغَلُ قَلْبَهُ بِهُمُومِ الدُّنْيَا؛ فَيُجَافِي مَشَاغِلَ النَّاسِ الدُّنْيَوِيَّةَ الَّتِي تَجْلِبُ الهُمُومَ، وَتُسْقِمُ القُلُوبَ، مِثْلَ مُتَابَعةِ الجَرَائِدِ، أَوْ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ، أَوْ مُتَابَعَةِ التِلفِزْيُون وَالأَخْبَارِ؛ هُوَ بِمَعْزِلٍ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ إِلَّا بِالتَقْوَى، وَالاحْتِيَاطِ فِيمَا يُرْضِي الرَّبَّ بِيَقِينٍ، وَعَلَى المَنْهَجِ.

٧- الرَّبَّانِيُّ عَبَّادٌ؛ يُسَارِعُ إِلَى الفَرَائِضِ، وَلَا يُفَوِّتُ شَيْئًا مِنَ النَوَافِلِ؛ لِأَنَّ النَّفْلَ حَرِيمُ الفَرْضِ، وَلَا يَقَعُ فِي شَيءٍ مِنَ المَكْرُوهَاتِ؛ لِأَنَّ المَكْرُوهَ حَرِيمُ الحَرَامِ، وَلَا يَخُوضُ فِي المُشْتَبِهَاتِ؛ لِأَنَّ المُشْتَبِهَاتِ حِمَى الرَّحْمَنِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ).

٨- الرَبَّانِيُّ يَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّتَهُ كَامِلَةً تِجَاهَ بَيْتِهِ؛ فَهُوَ سَكَنٌ لِأَهْلِهِ، أَبٌ شَفِيقٌ لِأَوْلَادِهِ، يَجْعَلُ بَيْتَهُ جَنَّةً، وَيَقِي عَائِلَتَهُ غَوَائِلَ السُّوءِ بِالحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي طَاعَةِ اللهِ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

٩- الرَّبَّانِيُّ صَاحِبُ إِنْصَافٍ؛ يُؤْتِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، دُونَ اشْتِطَاطٍ، أَوْ تَعَسُّفٍ، وَلَا يُرْضِي أَحَدًا فِي سَخَطِ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا؛ فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ).

١٠- الرَّبَّانِيُّ خَاضِعٌ، مُتَوَاضِعٌ، يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، بَشُوشٌ يَتَصَدَّقُ بِابْتِسَامَتِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ، يَبْذُلُ إِحْسَانَهُ لِلخَلْقِ، وَلَا يُؤْذِي أَحَدًا، وَيَتَحَمَّلُ أَذَى الخَلْقِ، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.



الدَّعْوَةُ طريقٌ ذو مَراحِل، تُقْطَعُ بِأَنَاةٍ ورَوِيَّةٍ؛ فَيَجبُ مُراعَاةُ مَراحِلِ الدَّعْوَةِ كَمَا سَارَ فِيهَا النَّبيُّ ﷺ، وأَنَّهَا دَعْوَةٌ توَسُّعِيَّة؛ تَبْدأُ بالعِلم، ثُمَّ بالعَمَل التَّرْبويّ، ثُمَّ الدَّعْوَة، وهَكَذا . . فلا نسْتَبْدِلِ ثغرًا بثغر؛ إنَّمَا نتوَسَّعُ فِي ثغورنا، ونَتدرَّجُ فِي المَراحِل، وإذا تعَارضَتِ الثُّغورُ فلْنَبْقَ عَلَى الثَّغرِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ لا نتركُهُ ولَا نَنْتَقِلُ عَنْهُ إلَّا إِلى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ.



١. التربية على النموذج المؤمن:

الْهَدَفُ الرَّئِيسِيُّ لِلْمَدْرَسَةِ هُوَ التَّرْبِيَةُ وَالتَّزْكِيَةُ؛ وَلِذَلِكَ تَكُونُ كُلُّ الْأَعْمَالِ وَالْأَنْشِطَةِ وَالْمُشَارَكَاتِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْمَدْرَسَةُ تَصُبُّ فِي هَذَا الِاتِّجَاه، وَصِنَاعَةُ الشَّخْصِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُتَمَيِّزَةِ هَذِهِ هُوَ الْمَرْجُوُّ وَرَاءَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا؛ فَإِيجَادُ طَائِفَةِ الْعُبَّادِ الزُّهَّادِ الصَّالِحِينَ طَالِبِي الْآخِرَةِ هُوَ الْهَدَفُ.

لِذلِكَ تضعُ المَدْرَسَةُ بَرامجَ لِلتَّرْبِيَةِ، وَآلِيَّاتٍ ثَابتَةً؛ كُلُّهَا مَعَالِمُ فِي طَرِيقٍ وَاضِحٍ بِمَنَاهِجَ سَبَقَ تَجْرِبُهَا سَنَواتٍ طَوِيلَة، وَكَانَتْ نِتاجَ وَثمرَةَ خِبْرَةِ عَمَلِ السِّنِينَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ عزوجل؛ لِلْوُصُولِ بِالْمُسْلِمِ إِلى أَنْ يَكُونَ الشَّخصِيَّةَ المُزَكَّاةَ فِي تكَامُل؛ كُلّ حَسَبَ قَدْرِهِ وَطَاقَتِه.

لِذلِكَ تَعْمَلُ الْمَدْرَسَةُ عَلَى أَنْ تَكُونَ صُورَةُ نَمُوذَجِ المُسْلِمِ الرَّبَّانِيِّ ذِي الشَّخْصِيَّةِ المُتَكَامِلَةِ وَاضِحَةً فِي أَذْهَانِ الْعَامِلِينَ فِيهَا؛ وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ الْعَمَلُ عَلَى إِيجَادِ النَّمُوذَجِ، وَتَوْسِيعِ الدَّائِرَةِ مِنْ أَمْثَالِهِ حَوْلَهُ، وَالنَّمُوذَجُ الْمَقْصُودُ هُنَا: هُوَ نَمُوذَجُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ رَبَّاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى عَيْنِه.

٢. تأصيل المفاهيم بوضوح وقوة:

هَذِهِ التَّزْكِيَةُ الْمَطْلُوبَةُ لِصِنَاعَةِ هَذَا النَّمُوذَجِ لِلشَّخْصِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ لَا بُدَّ أَنْ تَقُومَ عَلَى أَعْمِدَةٍ رَاسِخَةٍ عَمِيقَةٍ؛ لِذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ تَأْصِيلِ مَفَاهِيمِهَا بِجَلَاءٍ؛ لِتَكُونَ مَنَارَاتٍ هَادِيَةً عَلَى الطَّرِيقِ، وَمِنْ هَذِهِ المَفَاهِيمِ المَطْلُوبُ تَأْصِيلُهَا:

١- تَعْمِيقُ الفَهْمِ لِلتَّوْحِيدِ العَمَلِيِّ؛ بِأَنْ يَكُونَ أَثَرُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَاضِحًا فِي المَوَاقِفِ وَالتَّصَرُّفَاتِ وَرُدُودِ الأَفْعَالِ فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا.
٢- المَنْهَجُ السَّلَفِيُّ فِي الفَهْمِ، وَالاعْتِقَادِ، وَالدَّعْوَةِ، وَالسُّلُوكِ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ
٣- الرَّبَّانِيَّةُ وَالتَّرْبِيَةُ بِالتَّعَبُّدِ، وَذَمُّ البِدْعَةِ وَالابْتِدَاعِ.
٤- فَهْمُ السُّنَّةِ، وَتَعْظِيمُ آثَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَدَمُ الانْتِقَاءِ لِمُوَافَقَةِ الأَهْوَاءِ.
٥- رُسُوخُ الأَخْلَاقِ؛ فَالدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ؛ فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ.
٦- الاسْتِقَامَةُ وَعَدَمُ التَّلَوُّنِ، مَعَ الإِخْلَاصِ وَالثَّبَاتِ فِي مُوَاجَهَةِ أَحْدَاثِ الوَاقِعِ.
٧- كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ هِيَ السَّبِيلُ لِتَوْحِيدِ الكَلِمَةِ، وَتَأْلِيفِ القُلُوبِ، وَذَمِّ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلَافِ.
٨- العَمَلُ الجَمَاعِيُّ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى الخَيْرِ، وَحُبُّ الخَيْرِ لِلْمُسْلِمِينَ.
٩- البَذْلُ لِلدِّينِ، وَالتَّضْحِيَةُ لِوَجْهِ اللهِ، وَصِدْقُ العَزْمِ، وَعُلُوُّ الهِمَّةِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الصَّبْرِ، مَعَ غَمْطِ النَّفْسِ، وَالإِيثَارِ، وَذَمِّ التَّكَلُّفِ.
١٠- الجَهْرُ بِالحَقِّ بِقُوَّةٍ وَبِصِدْقٍ، وَمَعْرِفَةُ مَقَامَاتِ النَّاسِ وَإِنْزَالُهُمْ مَنَازِلَهُمْ.

٣. التركيز على طلب العلم الشرعي النافع:

لَا شَكَّ أَنَّ مِنْ أُصُولِ هَذَا الْمَنْهَجِ: طَلَبَ الْعِلْمِ: "الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ"، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. التَّرْكِيزُ التَّامُّ فِي هَذِهِ المَدْرَسَةِ عَلَى العِلْمِ النَّافِعِ، الَّذِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَلَا يَسَعُ المُسْلِمَ جَهْلُهُ؛ فَالتَّوْحِيدُ أَوَّلًا، ثُمَّ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ إِحْيَاءَ عِلْمِ القُلُوبِ -مِثْلِ تَعَلُّمِ الإِخْلَاصِ، وَالخَوْفِ مِنَ اللهِ، وَتَعَلُّقِ القَلْبِ بِاللهِ، وَالصِّدْقِ مَعَ اللهِ، وَغَيْرِهَا- هُوَ مِنْ أَوْلَى العُلُومِ ابْتِدَاءً، العِلْمُ الَّذِي يُنَاسِبُ الوَاقِعَ، وَيُصْلِحُ الأَشْخَاصَ، وَهُوَ مَا سَمَّاهُ ابْنُ قُدَامَةَ فِي كِتَابِهِ (مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينَ): (عِلْمُ المُعَامَلَةِ).

٤. التركيز على العبادة:

كَانَتْ ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ قَبْلَ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾؛ فَلَا بُدَّ مِنْ عِبَادَةٍ وَحَالٍ صَحِيحٍ، (لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الحَالِ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي).

والتَّرْبِيَة عَلَى العِبَادَةِ بِمَنْهَجٍ سَلَفِي صَحِيحٍ، فِي قِيَامِ اللَّيلِ، وَصِيامِ النَّوَافِلِ، وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ وَتَنْوِيعِ أَنْوَاعِهِ، والتَّنَقُّلِ بَيْنَ مَرَاتِبِهِ، وَتِلاوَةِ القُرْآنِ، وَتَتَابُعِ خَتَمَاتِهِ، وَتَدَبُّرِ مَعَانِيهِ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ، وَمُتَابَعَةِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، وَالدُّعَاءِ وَالتَّوَسُّلِ وَالمُنَاجَاةِ وَالتَّبَتُّلِ وَتَفْرِيغِ الهَمِّ وَالانْقِطَاعِ للهِ؛ لِكُلِّ هَذَا بَرَامِجُ مُفَصَّلَةٌ فِي المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ.

٥. الأخلاق والأدب:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ)، إِنَّمَا التَّزْكِيَةُ تَطْهِيرٌ وَإِنْمَاءٌ؛ تَطْهِيرُ النَّفْسِ مِنْ آفَاتِ الأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ، وَتَنْمِيَةُ مَا فِيهَا مِنْ طِبَاعٍ طَيِّبَةٍ وَسَلِيقَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ، وَالأَدَبُ مَعَ اللهِ وَمَعَ شَرْعِ اللهِ مِنْ أُصُولِ السَّيْرِ وَشُرُوطِ الوُصُولِ.

وَلِلْمَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ مَنَاهِجُ وَأَسَالِيبُ فِي تَهْذِيبِ الأَخْلَاقِ وَإِصْلَاحِ السُّلُوكِ؛ وَذَلِكَ بِالتَّرْبِيَةِ بِالمُعَايَشَةِ وَالتَّلْقِينِ وَالمُتَابَعَةِ، وَإِبْرَازِ جَانِبِ الأَدَبِ فِي جَمِيعِ المُعَامَلَاتِ: مَعَ اللهِ، وَمَعَ الخَلْقِ.

٦. المصاحبة:

وَهِيَ التَّرْبِيَةُ بِالمُعَايَشَةِ، وَالمَدْرَسَةُ الرَّبَّانِيَّةُ تَعْتَمِدُ فِي مَنَاهِجِهَا عَلَى ارْتِبَاطِ أَفْرَادِهَا بِمُجْتَمَعٍ لَائِقٍ؛ فَهِيَ (كُتْلَةُ قُلُوبٍ تَحْكُمُهَا قِيَمٌ)؛ فَهِيَ تَتَبَنَّى مَبْدَأَ التَّقَارُبِ بَيْنَ الطَّلَبَةِ وَالمَشَايِخِ، وَتَعْتَمِدُ فِي أُسْلُوبِهَا عَلَى إِيجَادِ البِيئَةِ الإِيمَانِيَّةِ الصَّالِحَةِ، الَّتِي تَجْعَلُ الطَّالِبَ المُتَرَبِّي تَحْتَ عَيْنِ المُرَبِّي: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾؛ وَلِذَلِكَ يُشْتَرَطُ عَلَى الرَّبَّانِيِّينَ تَوْفِيرُ الأَوْقَاتِ الكَافِيَةِ لِتَطْبِيقِ بَرَامِجِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالمَدْرَسَةُ يَوْمِيَّةٌ.

وَإِشَاعَةُ رُوحِ الأُخُوَّةِ بَيْنَ الرَّبَّانِيِّينَ مَقْصِدٌ؛ بِتَوْثِيقِ التَّرَابُطِ الأُخَوِيِّ بَيْنَهُمْ: بِالزِّيَارَةِ، وَمُدَاوَمَةِ الاتِّصَالِ، وَالمُعَاوَنَةِ، وَالحُبِّ فِي اللهِ.

٧. التلقين:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾، التَّلْقِينُ وإِشْرَابُ المَبَادِئِ وَالأُصُولِ وَالمَعَانِي وَالقَوَاعِدِ مَبْدَأٌ أَصِيلٌ فِي هَذِهِ المَدْرَسَةِ؛ فَلَا بُدَّ لِلرَّبَّانِي أَنْ يَسْتَسْلِمَ فِي البِدَايَةِ؛ لِيَتَلَقَّى الفَهْمَ الرَّبَّانِيَّ الدَّقِيقَ وَالعَمِيقَ لِهَذَا الدِّينِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، وَحِينَ يَتَشَرَّبُهُ قَلْبُهُ يَنْطَلِقُ لِلعَمَلِ بِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ؛ فَالصَّبْرُ عَلَى المَنْهَجِ وَالتَّلَقِّي وَعَدَمُ الاعْتِرَاضِ وَإِيرَادِ الشُّبُهَاتِ فِي البِدَايَةِ عَامِلٌ مُهِمٌّ لِتَحْصِيلِ الفَهْمِ، ثُمَّ لِلثَّبَاتِ عَلَى هَذَا الفَهْمِ بَعْدَ ذَلِكَ.

٨. فتح آفاق المناقشة:

يَتَّسِمُ مَنْهَجُ الْمَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِسَعَةِ الصَّدْرِ، وَقَبُولِ الْمُنَاقَشَةِ، وَحَقِّ إِبْدَاءِ الْآرَاءِ مِنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ؛ طَمَعًا فِي الْوُصُولِ إِلَى الْكَمَالِ الْبَشَرِيِّ الْمُمْكِنِ، وَلِكَيْلَا يُضْمِرَ أَحَدٌ شَرًّا أَوْ خَبِيئَةَ ضِغْنٍ عَلَى الْمَنْهَجِ، أَوْ عَلَى الْأَفْرَادِ فِي دَاخِلِ الْمَدْرَسَةِ؛ فَمِنْ مَبَادِئِ الْمَدْرَسَةِ: الْالْتِزَامُ بِالشُّورَى بِالْفَهْمِ الإِسْلَامِيِّ، وَالْعَمَلِ التَّطْبِيقِيِّ لَهَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مِنْ حَقِّ جَمِيعِ الرَّبَّانِيِّينَ التَّعْبِيرُ عَمَّا فِي قُلُوبِهِمْ، أَوْ مَا يَجُولُ بِصُدُورِهِمْ، أَوْ عَمَّا يَعْتَرِي أَنْفُسَهُمْ مِنْ تَحَوُّلَاتٍ دَائِمًا؛ لِيَدُومَ الْوُدُّ وَالصَّفَاءُ بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَيَتَآلَفَ الرَّبَّانِيُّونَ جَمِيعًا، وَتَنْبَثِقَ الْأَعْمَالُ جَمِيعُهَا عَنْ قَنَاعَةٍ تَامَّةٍ، وَرِضًى كَامِلٍ بِمُفْرَدَاتِ الْمَنْهَجِ.

٩. المتابعة الدءوب:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾.

إِذَا كَانَتْ مَدْرَسَةُ الرَّبَّانِيَّةِ تَعْتَمِدُ أُصُولَ مَنْهَجِهَا عَلَى مُتَابَعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُتَابَعَةً دَقِيقَةً فِي كُلِّ مَا رَبَّى عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ مُتَابَعَةٍ دَقِيقَةٍ تَامَّةٍ دَائِمَةٍ لِكُلِّ الرَّبَّانِيِّينَ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ لِهَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، وَقَدْ وُضِعَتْ بَرَامِجُ دَقِيقَةٌ، ذَاتُ أَسَالِيبَ مُتَنَوِّعَةٍ وَمُتَعَدِّدَةٍ لِلْمُتَابَعَةِ: ابْتِدَاءً

مِنْ مُتَابَعَةِ أَعْمالِ الْعِبادَةِ؛ مِنْ ذِكْرٍ، وَتِلاوَةِ قُرْآنٍ، وَقِيَامٍ، وَصِيامٍ، مُرُورًا بِمُتَابَعَةِ أَحْوَالِ الْقُلُوبِ؛ مِنْ صِدْقٍ، وَتَوْبَةٍ، وَإِخْلاصٍ، وَوُصُولًا إِلى مُتَابَعَةِ أَحْوالِ الْبَيْتِ، وَالْأَهْلِ، وَالْأَوْلادِ.

١٠. الصبر والعزم على التمام:

لَا شَكَّ أَنَّ مِنْ آفَاتِ الْعَمَلِ الدَّعَوِيِّ فِي عَصْرِنَا: الْأَعْمَالَ النَّاقِصَةَ الْمَبْتُورَةَ، وَالتَّخَلُّفَ عَنِ الْإِيفَاءِ بِالْوُعُودِ؛ وَلِذَلِكَ تَعْتَمِدُ الْمَدْرَسَةُ الرَّبَّانِيَّةُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْقُيُودِ، وَأَسَالِيبِ التَّقْوِيمِ الْمُسْتَمِرَّةِ، الَّتِي تَضْمَنُ –بِإِذْنِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ– الاسْتِمْرَارَ فِي الْعَمَلِ، وَإِصْلَاحَ الْأَخْطَاءِ أَوَّلًا بِأَوَّلٍ، وَمُتَابَعَةَ التَّقْوِيمِ الْمُسْتَمِرِّ؛ حَتَّى تَصِلَ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ إِلَى صِنَاعَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَالشَّخْصِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُتَمَيِّزَةِ بِالصَّبْرِ وَالْعَزْمِ الْقَوِيِّ، وَإِتْمَامِ الْبَرَامِجِ عَلَى حَسَبِ مَا رُسِمَتْ.
وَاللهُ الْمُوَفِّقُ وَالْمُسْتَعَانُ، مِنْهُ الْهِدَايَةُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.



مقدمة مهمة لمنهج التزكية:

أَوَّلًا: أَصْلُ وَأَسَاسُ وُجُودِ هَذِهِ المَدْرَسَةِ عَلَى السَّاحَةِ، والهَدَفُ الرَّئِيسِيُّ مِنْهَا هُوَ التَّرْبِيَةُ؛ وَلِذلِكَ يَقُومُ مَنْهَجُ التَّرْبِيَةِ فِي المَدْرَسَةِ عَلَى إِيجَادِ بِيئَةٍ إِيمَانِيَّةٍ دَائِمَةٍ، مُتَوفِرَةٍ بِصِفَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ فِي كُلِّ مَنْطِقَةٍ يَأْوِي إِلَيْهَا الرَّبَّانِيُّ مَتَى احْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ مِن لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ؛ وَذَلِكَ بِاخْتِيَارِ مَسْجِدٍ مَفْتُوحٍ دَائِمًا وَفِيهِ نَشَاطُ المَدْرَسَةِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ فِيهِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الإِخْوَةِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَأَحَدُ المُدَرِّسِينَ بِالمَدْرَسَةِ بِصِفَةٍ دائمةٍ.

ثَانِيًا: لَابُدَّ أَنْ يُوَاكِبَ مَنْهَجَ المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ (رَغْبَةٌ بِصِدْقٍ) مِنَ المُتَرَبِّي؛ وَلِذَلِكَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَ فِرَ سَاعَةَ خَلْوَةٍ يوميًا خِلافَ سَاعَاتِ المَدْرَسَةِ، يَخْلُو فِيهَا، يُنَاجِي رَبَّهُ، وَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ، وَيُجَدِّدُ تَوْبَتَهُ، وَيَشْحَذُ عَزْمَهُ، وَيَتَزَوَّدُ فِيهَا لِآخِرَتِهِ بِخَبِيئَةٍ مِن عَمَلٍ صَالِحٍ.

ثَالِثًا: مِن آلِيَّاتِ المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ: المُعَسْكَرَاتُ الإِيمَانِيَّةُ؛ وَذَلِكَ بِالاعْتِكَافِ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ فِي المَسْجِدِ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الصَّالِحِينَ؛ لِاسْتِيفَاءِ بَرَامِجَ مُحَدَّدَةٍ، فَيَكُونُ كُلَّ شَهْرٍ غالبًا مُعَسْكَرٌ فِي أَحَدِ المَسَاجِدِ، مَرَّةً لِلتَّدْرِيبِ وَالتَّمْكِينِ مِن تَدَبُّرِ القُرْآنِ، وَمُعَسْكَرٌ آخَرُ لِتَعْلِيمِ السُّجُودِ وَفَهْمِ مَعَانِيهِ وَمَرَامِيهِ، وَمُعَسْكَرٌ آخَرُ لِلذِّكْرِ يَتَعَلَّمُ فِيهِ المُرَبِّي كَيْفَ يَتَحَرَّكُ القَلْبُ لِلذِّكْرِ، وَهَكَذَا فَلَا بُدَّ لِلْمُتَرَبِّي مِن تَفْرِيغِ وَقْتٍ يَوْمِي، ووَقْتٍ شَهْرِي، وَوَقْتٍ سَنَوِيٍّ لِهَذِهِ التَّربِيةِ.

رَابِعًا: مِن آلِيَّاتِ المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي التَّرْبِيَةِ أَيضًا: الرِّحَلاتُ؛ بِتَنْظِيمِ رِحْلَةِ عُمْرَةٍ، أَوْ حَجٍّ، أَوْ زِيَارَةٍ لِبَعْضِ المَشَايِخِ فِي مِصْرَ أَوْ غَيْرِهَا؛ فَالتَّرْبِيَةُ أَثْنَاءَ السَّفَرِ مَطْلَبٌ لِتَهْذِيبِ النُّفُوسِ وَإِصْلَاحِ الأَخْلَاقِ، وفيها يعيش المتربي مع شيخه مدة طويلة؛ فيرعاه في جميع أحواله.

خامسًا: كَمَا أَنَّ لِلْمَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فَرِيقًا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الْمُتَمَيِّزِينَ لِتَدْرِيسِ الْمَنْهَجِ الْعِلْمِيِّ؛ فَهُنَاكَ فَرِيقٌ آخَرُ لِلتَّزْكِيَةِ، مِنَ الْوُعَّاظِ والْمُذَكِّرِينَ الَّذِينَ يُحَرِّكُونَ قُلُوبَ النَّاسِ فِي الْخُطَبِ وَالدُّرُوسِ، وهُنَاكَ فَرِيقٌ ثَالِثٌ، وهُوَ فَرِيقُ الْمُرَبِّينَ، هُمْ لَيْسُوا بِخُطَبَاءَ ولَا مُذَكِّرِينَ؛ وإِنَّمَا هُمْ فَرِيقٌ مُرَابِطٌ فِي الْمَسَاجِدِ، يُرَبُّونَ مَنْ يَأْوِي إِلَيْهِمْ، وَيَتِمُّ تَدْرِيبُهُمْ فِي دَوَرَاتٍ خَاصَّةٍ بِالْمُرَبِّينَ؛ لِيَسْتَطِيعوا تنفيذ منهجِ التزكيةِ بِحِرَفِيَّةٍ وإتقان.

سادسًا: منهجُ التزكيةِ يشتمل على عشرةِ أَبواب للتزكيةِ تُؤَدَّى مع المربي وتحتَ عينِه في البدايةِ، ويستقي المتربي من مربيهِ كيفية أدائِها حتى يتشرب قلبُهُ حلاوةَ ولذةَ معانيها، ويباشرَ قلبُهُ رُوحَ أسرارِها، ويظلَّ يجاهدُ في تحصيل أعلى درجاتِها، ثم ينفصل بأدائِها وحدَهُ، وتعليمِها غيرَهُ. وهي: أولًا: التربية بالقُرْآنُ الكريمُ - ثانيًا: التربية بالصَّلَاةُ - ثالثًا: التربية بالذِكر - رابعًا: التربية في رمضان - خامسًا: التربية بالحج والعمرة - سادسًا: التربية بالزكاة والصدقات - سابعًا: التربية بالدعاء - ثامنًا: التربية بالتفكر - تاسعًا: التربية بمعالجة الأقدار - عاشرًا: التربية بالأخلاق، وسيأتيك تفصيل هذه الأبواب بالشرح الوافي في الكتاب الثاني من كتب المدرسة الربانية.

- وَلَا بُدَّ لِلْمُتَرَبِّي أَنْ يَمُرَّ بِأَرْبَعَةِ مَرَاحِلَ فِي أَثْنَاءِ اجْتِيَازِهِ لِقَضِيَّةِ التَّرْبِيَةِ لِلوصُولِ إلى مَرْحَلَةِ التَّزْكِيَةِ وَهِيَ:

- أولًا: التَّفْهِيمُ:

إِنَّ غِيَابَ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ لِقَوَاعِدِ التَّزْكِيَةِ جَعَلَهَا فِي نُفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ الشَّبَابِ مُشْكِلَةً وَعُقْدَةً يَصْعُبُ حَلُّهَا وَجَعَلَهَا فِي كَلَامِ كَثِيرٍ مِنَ الدُّعَاةِ كَلَامًا مُرْسَلًا لَا سَبِيلَ لِتَحْقِيقِهِ فِي الوَاقِعِ المعِيشِ.

وَلِذَلِكَ لَا بُدَّ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي مَشْرُوعِ التَّرْبِيَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى التَّزْكِيَةِ: أَنْ يَفْهَمَ طَالِبُ الرَّبَّانِيَّةِ كُلَّ شَيءٍ؛ يَفْهَمَ كُلَّ عَمَلٍ وَكُلَّ كَلِمَةٍ وَكُلَّ تَجْرِبَةٍ وَكُلَّ إِشَارَةٍ، لَا بُدَّ مِن التَّفهِيم، وَأَنْ يَسْتَسْلِمَ الطَّالِبُ لِلفهْمِ دُونَ أَنْ يَتَدَخَّلَ فِيهِ بِفِكْرِه، وَلَا بُدَّ بِالطَّبْعِ أَنْ يَخْضَعَ هَذَا الفَهْمُ لِلدَّلِيلِ من الكِتَابِ والسُّنَّةِ بِفَهْمِ السَّلَفِ؛ وَلَكِن غَالِبًا يَحْتَاجُ أَنْ يُجَلى عَنْهُ لِلطَّالِبِ المُبْتَدِئِ، فَلْيَصْبِرْ.

وَأَنَا لَا أَقْصِدُ بِالتَّفهِيمِ التَّعْلِيمَ وَالتَّلْقِينَ فَقط؛ وَإِنَمَا أَنْ يَفْهَمَ المَعْنَى وَيَتَفَهَّمَهُ؛ يَعْنِي يَتَصَوَّرَهُ كَأَنَّهُ يُدْرِكُهُ وَيَشْعُرُ بِه: (نكون عند رسول الله ﷺ، فَيذكرُنَا الجَنَّةَ وَالنَّارَ فَكَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ).

إِنَّ إِشْكَالَ عَصْرِنَا أَنَّ أَكْثَرَ شَبَابِنَا لَمْ يَرَوْا القُدْوَةَ، وَلَمْ يُعَايِشُوا الرَّجُلَ الصَّالِحَ الَّذِي يَمْلَأُ نُفُوسَهُم رَغْبَةً وَرَهْبَةً، لِذَلِكَ فَمُحَاوَلَةُ المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ إِيجَادَ النَّمُوذَجِ الصَّالِحِ هَدَفٌ لَا بُدَّ مِن تَحْقِيقِه.

وَمِنْ هُنَا كَانَتِ التَّرْبِيَةُ بِالمُعَايَشَةِ؛ لِيَرَى المُتَرَبِّي الرَّبَّانِيُّ بِعَيْنيهِ كَيْفِيَّةَ أَدَاءِ العَمَلِ، وهذه سُنَّةٌ، قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)، وَمِن بَعْدِهِ أَتَى عُثْمَانُ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ أَمَامَ أَصحابه وَقَال سَلْمَانُ: (عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كُلَّ شَيءٍ، حَتَّى الخِرَاءَةَ).

مِنْ هَذَا المُنْطَلَقِ فَلا بُدَّ فِي البِدَايَةِ أَن يَتَعَلَّمَ طَالِبُ التَّرْبِيَةِ الرَّبَّانِيُّ كَيْفَ يُصَلِّي وَكَيْفَ يَصُومُ وَكَيْفَ يَقُومُ؛ بَلَه كَيْفَ يُخلِصُ، وَكَيْفَ يُحِبُّ وَيُوَالِي، وكيفَ يَكرَهُ وَيُعَادِي، وَكَيْفَ يَخَافُ وَيَرْجُو .. أَن يَرَى ذَلِكَ عَمَلِيًّا وَوَاقِعِيًّا فِي دُرُوسٍ مُرَكَّزَةٍ، وَبَرَامِجَ تَرْبَوِيَّةٍ صَحِيحَةٍ، وَخُطُواتٍ عَمَلِيَّةٍ مُتَدَرِّجَةٍ.

- ثانيًا: التعويد:

وتِلْكَ قَاعِدَةٌ تَرْبَوِيَّةٌ أَخْلَاقِيَّةٌ ضَرُورِيَّةٌ لِصَلَاحِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ؛ فَالتَّعَوُّدُ والمُوَاظَبَةُ والاسْتِمْرَارُ أَسَاسُ البِنَاءِ والوُصُولِ والبَرَكَةِ فِي الأَعْمَالِ، قَال ﷺ: «أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ قَلَّ».

قَالُوا: (يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ لَهُ وَظِيفةٌ مِنَ الذِّكْرِ فِي وَقْتٍ مِنْ لَيْلٍ أو نَهَارٍ، أو عَقِبَ صَلَاةٍ، أو حَالَةٍ مِنَ الأَحْوَالِ ففَاتَتْهُ؛ أَنْ يَتَدَارَكَهَا، وَيَأْتِي بِهَا إِذَا تمكَّنَ مِنْهَا، ولَا يُهْمِلُها؛ فَإِنَّهُ إِذَا اعْتَادَ المُلَازمَةَ عَلَيْهَا لَمْ يُعَرِّضْهَا لِلتَّفويتِ، وإذا تسَاهَلَ فِي قَضَائِهَا سَهُلَ عَلَيْهِ تضييعُهَا فِي وَقْتِهَا).

وتَرْجِعُ أَهَمِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ بِالعَادَةِ إِلى أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ بِمَعْنَاهُ الْوَاسِعِ يَتَحَقَّقُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّلُ: الطَّبْعُ والفِطْرَةُ.

والثَّانِي: التَّعَوُّدُ والمُجَاهَدَةُ، ولَمَّا كَانَ الإِنْسَانُ مَجْبُولًا عَلَى الدِّينِ والْخُلُقِ الْفَاضِلِ كَانَ تَعْوِيدُهُ عَلَيْهِ يُرَسِّخُهُ وَيَزِيدُهُ.

فَالمَقْصِدُ فِي المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ أَنْ يَلْزَمَ الْمُتَرَبِّي الْبِيئَةَ الإِيمَانِيَّةَ أَطْوَلَ فَتْرَةٍ مُمْكِنَةٍ؛ لِيَتَعَوَّدَ جُمْلَةً مِنَ المَعَانِي الَّتِي تلزَمُ السَّائِرَ إِلى اللهِ؛ فبالمُكْثِ فِي البِيئَةِ الإِيمَانِيَّةِ مَعَ مُرَاقَبَةِ الرَّبَّانِي، ومُتَابَعَتِهِ وأَمْرِهِ ونَهْيِهِ وإِلْزَامِهِ بِبَعْضِ الأَعْمَالِ، وامْتِحَانِ فَهْمِهِ لَهَا؛ يَتِمُّ تَعْوِيدُهُ عَلَى تِلْكَ الأَسَاسِيَّاتِ، ومِنْهَا:

- ✓ تَعَوُّدُ الصِّيَامِ والقِيَامِ والذِّكْرِ والصَّمْتِ.
- ✓ تَعْوِيدُ النَّفسِ عَدَمَ التَّكَلُّفِ، وعَدَمَ التَّطلُّعِ، وتَرْكَ الْفُضُولِ.
- ✓ أَنْ يَتَعَوَّدَ الرَّبَّانِيُّ التَّرْكِيزَ فِي العِبَادَاتِ، وحُضُورَ الْقَلْبِ، وأَلَّا يُنْشِئَ عَمَلًا إِلَّا بِنِيَّةٍ؛ فَتَسْبِقُ نِيَّتُهُ عَمَلَهُ.
- ✓ وأَنْ يَتَعَوَّدَ الرَّبَّانِيُّ أَنْ يُتِمَّ عَمَلَهُ، وَيَصْبِرَ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾.
- ✓ وأَنْ يَتَعَوَّدَ الرَّبَّانِيُّ شَيْئًا مِنَ البَذَاذَةِ والتَّقَشُّفِ والبَسَاطَةِ فِي المَعِيشَةِ حَتَّى يَخْتَفِيَ هَمُّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِهِ.
- ✓ وَيَتَعَوَّدُ الرَّبَّانِيُّ الجِدِّيَّةَ والجُنْدِيَّةَ، والذُّلَّ لإِخْوَانِهِ والتَّوَاضُعَ والسَّمْعَ والطَّاعَةَ، والوَلَاءَ لِمَشَايِخِهِ.

وعُمُومًا: فَإِنَّ الرَّبَّانِيَّ يَحْتَاجُ فِي البِدَايَةِ أَنْ يُلْزَمَ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَعْمَالِ يُوَاظِبُ عَلَيْهَا، وَيُتَابِعُهُ مُرَبِّيهِ وشَيْخُهُ فِي التِزَامِهَا، وَيَظَلُّ يُتَابِعُ عَلَيْهَا مُدَّةً فِي بِيئَتِهِ الإِيمَانِيَّةِ حَتَّى يَتَعَوَّدَ عَلَيْهَا وَيَسْهُلَ عَلَيْهِ إِتْيَانُهَا فَلَا يَتْرُكَهَا بَعْدَ ذَلِكَ؛ وحِينَ ذَاكَ تَأْلَفُهَا النَّفسُ وتَعْتَادُهَا فَتُقْبِلُ عَلَيْهَا بِنَهَمٍ ولا تَتْرُكُهَا.

- وأيضًا لا بُدَّ أنْ يُؤمَرَ الرَّبَّانِيُّ ويُنْهَى، ويتعَوَّدَ عَلَى قَبُولِ الْأَمْرِ والنَّهْيِ؛ فإنَّهُ في الْبدايَةِ شَاقٌّ عَلَى النَّفْسِ، وحِينَ يَتِمُّ تعْويدُ النَّفسُ عَلى قَبُولِ الْأوامِرِ والْتِزَامِهَا وعدَمِ مُخَالفتِهَا؛ فإنَّ ذَلِكَ يَكُونُ سَبِيلًا لِجعْلِ النَّفسِ ليِّنَةً مِطوَاعَةً مُنْقادَةً سَلِسَةً؛ فتسْلُكُ سَبِيلَ الْوُصُولِ بتُؤدَةٍ وعَدمِ مُنَازعَةٍ.

- وأيضًا تكْمُنُ أهمّيَّةُ التَّعْويدُ في ثَبَاتِ الْأعْمَالِ، وثَبَاتِ الْأخْلَاقِ؛ فإنَّ مَن اعْتَادَ شَيْئًا وعوَّدَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ فاطمَأنَّتْ نفسُهُ بِهِ وسَكَنَتْ إلَيْهِ فإنَّهُ عادةً لا يَترُكُهُ، قَالَ أحَدُهُمْ: مَا زلتُ أقُودُ نَفْسِي إلى اللهِ وهِيَ تَبْكِي، حَتَّى انْقَادَتْ إلَيْهِ وهِيَ تَضحَكُ، وقَالَ آخَرُ: جَاهَدْتُ شَهْوَتِي عِشْرِينَ سَنَةً حتَّى صَارَتْ شَهْوَتِي الْمُجَاهَدَةَ، وهكَذَا فإنَّ النَّفسَ إذَا اعْتَادَتِ الشَّيءَ وألِفَتْهُ اطْمَأنَّتْ إلَيْهِ وسَكَنَتْ فإنَّهَا تَأتِي بِهِ بِسَمَاحَةٍ ولا يُزْعِجُهَا مُعَانَاةُ الْفِعْلِ أو التَّرْكِ.

- لِذلكَ كُلِّهِ تعْتَمِدُ الْمَدْرَسَةُ الرَّبَّانِيَّةُ مَبْدَأَ التَّعْوِيدِ، وذلِكَ بأسَالِيبَ ثَلَاثَةٍ:

١- طُولُ الْمُكْثِ فِي البِيئَةِ الْإيمَانِيَّةِ مَعَ قِلَّةِ الْحَرَكَةِ وعَدَمِ الْمُفَارَقَةِ.

٢- الالْتِزَامُ بِطَاعَةِ الْمُرَبِّي والاسْتِسْلَامُ لهُ، وفِعْلُ الْمُتَرَبِّي مَا يُؤْمَرُ بِهِ عَلَى الْهَيْئَةِ الْمَطْلُوبَةِ.

٣- الالْتِزَامُ بالْأعْمَالِ الإيمَانِيَّةِ الْمُدَدَ الْمَطلُوبَةَ، والصَّبْرُ عَلَيْهَا حَتَّى تُؤْتِيَ ثَمَرتَهَا .

ثالثًا: التَّدَرُّجُ:

التَّدَرُّجُ سُنَّةٌ إلهيَةٌ ربَّانِيَّةٌ في الدِّينِ والْحيَاةِ؛ فَكَانَ في الشَّرْعِ التَّدَرُّجُ في تَحْرِيمِ الْخَمْرِ والتَّدَرُّجُ فِي تَحْرِيمِ الرِّبَا والتَّدَرُّجُ في فَرْضِيَّةِ الصَّلَاةِ. والرَّسُولُ ﷺ لَمَّا أرسَلَ مُعَاذا إلى اليَمَنِ عَلَّمَهُ التَّدَرُّجَ في الدَّعْوَةِ فقَالَ لهُ: "فَلْيَكُنْ أوَّلَ مَا تدْعُوهُمْ إلَيْهِ عِبادَةُ اللهِ عزَّ وجَلَّ، فإذا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فإذا فعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ" .

وارْتِبَاطُ مَنَاهِجِ التَّرْبِيَةِ كُلِّهَا بالتَّدَرُّجِ ولكن هناك ضوابط لقضية التدرج، منها:

- التَّدَرُّجُ فِي النَّوَافِلِ؛ لا فِي إقَامَةِ الفَرَائِضِ ولَا فِي تَرْكِ المُحَرَّمَاتِ.

- لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّدَرُّجُ تُكَأَةً لِلْكَسَلِ وَالتَّوَانِي.
- التَّدَرُّجُ يَعْتَمِدُ عَلَى الصَّبْرِ حَتَّى يَتَمَكَّنَ المَعْنَى مِنَ القَلْبِ ثُمَّ يَنْتَقِلَ بِهِ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ.
- لِلتَّدَرُّجِ مَنْهَجٌ مُنْضَبِطٌ بِوَقْتٍ؛ فَلَا يُتْرَكُ لِأَهْوَاءِ النَّاسِ.
- لِلتَّدَرُّجِ مَرَاحِلُ مَحْدُودَةٌ، فَلَهُ بِدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ، وَبَيْنَهُمَا مَرَاحِلُ تُقْطَعُ بِرَوِيَّةٍ.
- لِلتَّدَرُّجِ فِي كَمِّيَّةِ الْأَعْمَالِ وَأَنْوَاعِهَا مُحَدَّدٌ بِالمَنْهَجِ؛ وَلَكِنَّ الجَانِبَ الْأَخْطَرَ فِي التَّدَرُّجِ هُوَ التَّدَرُّجُ فِي الرُّقِيِّ فِي المَعَانِي الْإِيمَانِيَّةِ الْقَلْبِيَّةِ، وَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى فَهْمٍ وَتَدْرِيبٍ.

وَلَا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ التَّدَرُّجَ فِي هَذِهِ الْآفَاقِ الْإِيمَانِيَّةِ لَهُ عَلَامَاتٌ وَإِشَارَاتٌ وَمَنَارَاتٌ يَعْلَمُ بِهَا الرَّبَّانِيُّ أَيْنَ هُوَ وَأَيْنَ نَزَلَ.

✓ <u>خُذْ إِلَيْكَ مِثَالَ هَذَا التَّدَرُّجِ مَعَ ذِكْرِ مَنَارَاتِهِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهِ:</u>

المرحلة الأولى:

أَنْ يَخْلُوَ الْقَلْبُ مِنَ الِاهْتِمَامِ بِالدُّنْيَا وَالتَّعَلُّقِ بِمَا فِيهَا مِنْ مَالٍ، أَوْ رِيَاسَةٍ أَوْ صُورَةٍ.

المرحلة الثانية:

أَنْ يَتَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِالْآخِرَةِ، وَالِاهْتِمَامِ بِهَا مِنْ تَحْصِيلِ الْعُدَّةِ، وَالتَّأَهُّبِ لِلْقُدُومِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَذَلِكَ أَوَّلُ فُتُوحِهِ، وَتَبَاشِيرُ فَجْرِهِ.

المرحلة الثالثة:

أَنْ يَتَحَرَّكَ الْقَلْبُ لِمَعْرِفَةِ مَا يُرْضِي رَبَّهُ عَنْهُ فَيَفْعَلُهُ، وَيَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ، وَمَا يُسْخِطُهُ مِنْهُ فَيَجْتَنِبُهُ.

علامات هذه المراحل الثلاثة (المنارة):

وَهَذَا عُنْوَانُ صِدْقِ إِرَادَتِهِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَيْقَنَ بِلِقَاءِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ سَائِلُهُ عَنْ كَلِمَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ لَابُدَّ أَنْ يَتَنَبَّهَ لِطَلَبِ مَعْرِفَةِ مَعْبُودِهِ، وَالطَّرِيقِ الْمُوصِلَةِ إِلَيْهِ.

المرحلة الرابعة:

فَإِذَا تَمَكَّنَ فِي ذَلِكَ فَتَحَ لَهُ بَابَ الْأُنْسِ بِالْخَلْوَةِ وَالْوَحْدَةِ.

مَنَارَةُ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ: أَنَّه يَأْنَسُ بِهَا وَيَسْتَوْحِشُ مِنَ الْخَلْقِ.

المرحلة الخامسة:

ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ حَلَاوَةِ الْعِبَادَةِ بِحَيْثُ لَا يَكَادُ يَشْبَعُ مِنْهَا .

مَنَارَةُ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ: بِحَيْثُ إِنَّهُ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ مثلاً، وَدَّ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْهَا .

المرحلة السادسة:

ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ حَلَاوَةِ اسْتِمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ فَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ.

مَنَارَةُ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ: إِذَا سَمِعَهُ هَدَأَ قَلْبُهُ بِهِ كَمَا يَهْدَأُ الصَّبِيُّ إِذَا أُعْطِيَ مَا هُوَ شَدِيدُ الْمَحَبَّةِ لَهُ.

المرحلة السابعة:

ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ شُهُودِ عَظَمَةِ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِ نُعُوتِهِ وَصِفَاتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَمَعَانِي خِطَابِهِ.

مَنَارَةُ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ: بِحَيْثُ يَسْتَغْرِقُ قَلْبَهُ تَعْظِيمٌ مُذْهِلٌ؛ فَيَذْهَلُ قَلْبُهُ عَنْ تَعْظِيمِ شَيْءٍ غَيْرِ اللهِ.

المرحلة الثامنة:

ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ أَوَّلُ شَوَاهِدِ الْمَعْرِفَةِ، وَهُوَ نُورٌ يَقَعُ فِي الْقَلْبِ، يُرِيهِ ذَلِكَ النُّورُ أَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَسْتَحِي مِنْهُ فِي خَلَوَاتِهِ، وَجَلَوَاتِهِ.

مَنَارَةُ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ: دَوَامَ الْمُرَاقَبَةِ لِلرَّقِيبِ جَلَّ جَلَالُهُ؛ فَإِذَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ هَذَا غَطَّى عَلَيْهِ هُمُومَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

المرحلة التاسعة:

ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ الشُّعُورِ بِمَشْهَدِ الْقَيُّومِيَّةِ، فَيَرَى سَائِرَ التَّقَلُّبَاتِ الْكَوْنِيَّةِ وَتَصَارِيفَ الْوُجُودِ بِيَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَيَشْعُرُ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، وَلَا بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَكُلُّ الْكَوْنِ يُسَيِّرُهُ اللهُ،

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾.

مَنَارَةُ هَذِهِ المَرْحَلَةِ: أَن يكون نظره فكرًا؛ فإذا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ دَلَّهُ عَلَى خَالِقِهِ وَبَارِئِه، وَصِفَاتِ كَمَالِه وَنُعُوتِ جَلَالِه، كَأَنَّهُ يَقُول لَهُ بِلِسَانِ حَالِه: اسْمَعْ شَهَادَتِي لِمَنْ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ؛ فَأَنَا صُنْعُ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ.

المرحلة العاشرة: إذا اسْتَمَرَّ لَهُ ذَلِكَ فتح لَهُ بَابُ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، فَيَقْبِضُ عَلَيْهِ حَتَّى يُضطَرَّ لِلتَّبَرِّي مِنْ حَوْلِهِ وقوَّتِهِ إِلَى حَوْلِ اللهِ وقوَّتِهِ ثُمَّ يَبْسُطُ عَلَيْهِ حَتَّى يَرَى أَنَّهُ لا وجُودَ لَهُ إلَّا بِفَضلِ اللهِ ورَحْمَتِه.

مَنَارَةُ هَذِهِ المَرْحَلَةِ: فيكُونُ دومًا فِي الرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ، وَطُول الْوُقُوفِ فِي الْبَابِ.

- **رابعًا: الْمُتَابَعَةُ:**

يَقُومُ مَبْدَأُ التَّزْكِيَةِ فِي الْمَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ عَلَى التَّرْبِيَةِ بِالْمُعَايَشَةِ، وقَدْ مَرَّ مَعَنَا فِي التَّعْوِيدِ أَنَّ طول اللَّبْثِ فِي بِيئَةِ التَّرْبِيَةِ الرَّبَّانِيَّةِ يَعْمَلُ عَمَلَهُ فِي الْقُلُوبِ بِالْفِعْلِ؛ ولَكِنْ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الرَّبَّانِيِّ لِهَذِهِ البِيئَةِ ومُخَالَطَتِهِ لِلخلقِ فقدْ يَحْصُلُ نَوْعُ فُتُورٍ أو ذُبُولٍ لِتِلْكَ المعاني فِي قَلْبِهِ؛ لِذَلِكَ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ مُتَابِعٍ وَمُتَابَعَةٍ حَثِيثَةٍ.

والمُتَابَعَةُ سُنَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقَدْ أَمَرَهُ اللهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾؛ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُتَابِعُهُمْ كُلَّ صَبَاحٍ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ مَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ مَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ مَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟".

-وفِي مُتَابَعَتِهِ ﷺ لِسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ وأُحُدَ لِانْشِغَالِهِ بِالرِّقِّ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: "كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ"؛ فكاتَبَ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ المَغَازِي، فَقَالَ: "مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟" قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: "خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ".

- وفي مُتَابَعَتِهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: "كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ . . . إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً".
وهَذِهِ مُتَابَعَة إِيمَانِيَّة مُهِمَّة.
ونَحْنُ نَحْتَاجُ إِلى المُتَابَعَةِ فِي المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وذَلِكَ لِأُمُورٍ:
١ - أَنَّ التَّرْبِيَةَ عَمَلِيَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ، لَا يَكْفِي فِيهَا تَوْجِيهٌ عَابِرٌ مِنَ المُرَبِّي أَو مُلَاحَظَةٌ سَرِيعَةٌ؛ إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلى المُتَابَعَةِ والتَّوْجِيهِ المُسْتَمِرِّ لِيَثْبُتَ وَيَسْتَقِرَّ.
٢ -أَنَّ المُتَرَبِّي نَفْسٌ بَشَرِيَّةٌ ولَيْسَ آلَةً تَضْغَطُ عَلَى أَزْرَارِهَا مَرَّةً، ثُمَّ تَتْرُكُهَا وتَنْصَرِفُ إِلى غَيْرِهَا، فَتَظَلُّ عَلَى مَا تَرَكْتَهَا عَلَيْهِ؛ بَلْ هِيَ نَفْسٌ بَشَرِيَّةٌ دَائِمَةُ التَّقَلُّبِ، مُتَعَدِّدَةُ المَطَالِبِ، مُتَعَدِّدَةُ الاتِّجَاهَاتِ، وكُلُّ تَقَلُّبٍ، وكُلُّ مَطْلَبٍ، وكُلُّ اتِّجَاهٍ، فِي حَاجَةٍ إِلى تَوْجِيهٍ. فَالعَجِينَةُ البَشَرِيَّةُ عَجِينَةٌ عَصِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلى مُتَابَعَةٍ دَائِمًا، ولَيْسَ يَكْفِي أَنْ تَضَعَهَا فِي قَالِبِهَا المَضْبُوطِ مَرَّةً فَتَنْضَبِطَ إِلى الأَبَدِ؛ بَلْ دَوَامُ وَضْعِهَا دَاخِلَ ذَلِكَ القَالِبِ، ومُتَابَعَةُ أَنْ لَا تَفْلِتَ مِنْهُ، أَو تَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ.
٣- يُوَاجِهُ الشَّابُّ الرَّبَّانِيُّ فِي هَذَا الزَّمَانِ تَيَارًا مِنَ الفِتَنِ والصَّوَارِفِ عَنْ دِينِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: فِتَنُ الشُّبُهَاتِ الَّتِي تُشَكِّكُهُ فِي دِينِهِ وعَقِيدَتِهِ، وفِتَنُ الشَّهَوَاتِ المُحَرَّمَةِ الَّتِي تَقُودُهُ إِلى نَارِهَا ولَأْوَائِهَا. فَالعَمَلِيَّةُ طَرْدِيَّةٌ: كُلَّمَا كَثُرَتْ الفِتَنُ وانْتَشَرَتِ المُنْكَرَاتُ عَظُمَ دَوْرُ المُتَابَعَةِ، وكَانَ الاهْتِمَامُ بِهَا آكَدَ، قَالَ ﷺ: "بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ويُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"؛ فَلَا بُدَّ مِنَ المُتَابَعَةِ الدَّائِمَةِ.

✓ ومِنْ هُنَا تَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ المُتَابَعَةِ الحَثِيثَةِ الدَّائِمَةِ الجَادَّةِ فِي المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وذَلِكَ لِأُمُورٍ:
١ - الثَّبَاتُ وعَدَمُ النُّكُوصِ عَنْ الطَرِيقِ مِنْ قِبَلِ المُتَرَبِّينَ.
٢ - اسْتِمْرَارُ خَطِّ الصُّعُودِ والتَّرَقِّي لِلمُتَرَبِّي؛ لِأَنَّهُ بِالمُتَابَعَةِ والتَّقْوِيمِ المُسْتَمِرِّ؛ ومَعْرِفَةِ نِقَاطِ الضَّعْفِ ومُعَالَجَتِهَا، ونِقَاطِ القُوَّةِ وتَعْزِيزِهَا؛ يَتَرَقَّى الرَّبَّانِيُّ فِي كَنَفِ المُتَابَعَةِ.
٣ - تَعْمِيقُ رُوحِ الحُبِّ فِي اللهِ، وتَعْزِيزُ الثِّقَةِ بَيْنَ المُرَبِّي والمُتَرَبِّي أَنَّ مُرَبِّيَهُ مُهْتَمٌّ بِهِ مُتَابِعٌ لَهُ، وذَلِكَ يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلتَّلَقِّي مِنْهُ، والإِنْصَاتِ لَهُ، وتَنْفِيذِ تَوْجِيهَاتِهِ.

٤ – تَدْرِيبُ الْمُتَرَبِّي أَنْ يَقُومَ بِنَفْسِهِ بِعَمَلِيَّةِ الْمُتَابَعَةِ الذَّاتِيَّةِ بَدَلًا مِنَ الْمُرَبِّي؛ ولَكِنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ الْأَمْرُ عَنْ الْمُتَابَعَةِ مِنَ الْمُرَبِّي؛ وإِنَّمَا تُولَدُ مُبَادَرَةٌ ذَاتِيَّةٌ لِلْمُتَرَبِّي بِأَنْ يُتَابِعَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ.

٤ –صَقْل شَخْصِيَّةِ الْمُتَرَبِّي؛ وذَلِكَ بِدَوَامِ التَّوْجِيهِ، وإِصْلَاح الْأَخْطَاءِ، والتَّنْبِيهِ عَلَى جَوَانِب الْقُصُور، وشَحْذِ الهِمَّةِ، وَبَثِّ المِثَالِيَّات، حَتَّى يَصِلَ إِلَى الشَّخْصِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُتَكَامِلَةِ.

✓ ولَكِنْ لَا بُدَّ لِهَذِهِ الْمُتَابَعَةِ مِنْ ضَوَابِطَ وأُصُول وحُدُودٍ؛ فَمِنْهَا:

١– أَنْ يُصَاحِبَ هَذِهِ الْمُتَابَعَةَ شُعُورُ الرَّحْمَةِ واللِينِ والرِّفْق وحُبِّ الإِصْلَاح مِنَ الْمُرَبِّي والْمُتَرَبِّي.

٢– لَيْسَ مَعْنَى الْمُتَابَعَةِ والتَّوْجِيهِ الْمُسْتَمِرّ الْمُحَاسَبَةَ عَلَى كُلِّ هَفْوَةٍ؛ فَقَدْ يَتَغَاضَى الْمُرَبِّي أَحْيَانًا عَنْ بَعْض الْهَفَوَاتِ لِعِلْمِهِ أَنَّ الزَّمَنَ جُزْءٌ مِنَ العِلَاجِ؛ فَهِيَ تَنْفِي نَفْسَهَا بِالصَّبْرِ.

٣– أَنَّ الْمُتَابَعَةَ لَيْسَتْ خَاصَّةً بِالْمُبْتَدِئِينَ وَحْدَهُمْ؛ بَل تَشْمَلُ الْجَمِيعَ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الرَّبَّانِيِّينَ هُمْ رَأْسُ الْمَالِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى مُحَافَظَةٍ وسَعْيٍ فِي تَطْوِيرِه؛ فَالْمُتَابَعَةُ يَحْتَاجُهَا الْجَمِيعُ لَيْسَ لَهَا مُدَّةٌ مُعَيَّنَةٌ، أَو وَقْتٌ مُحَدَّدٌ، أَو أَشْخَاصٌ مُعَيَّنُونَ؛ بَل مُتَابَعَةُ الكُلِّ، وبِصِفَةٍ دَائِمَةٍ؛ ذَلِكَ هُوَ الضَمَانُ.

٤– تَجَنُّبُ الْخَلْطِ بَيْنَ مَعْنَى الْمُتَابَعَةِ والْأُخُوَّةِ؛ فَيَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ حَال الْأُخُوَّةِ والْحُبِّ فِي اللهِ، وبَيْنَ حَالِ التَّرْبِيَةِ والتَّعْلِيمِ والتَّوْجِيهِ؛ فَقَدْ يَحْتَاجُ حَال التَّرْبِيَةِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الشِّدَّةِ حَال التَّوْجِيهِ.

٥ –التَّرْبِيَةُ بِالْمُتَابَعَةِ تَتجِهُ دَوْمًا إِلَى إِصْلَاحِ الْقُلُوب وتَنْقِيَةِ السَّرَائِر؛ فَصَلَاحُ الْبَاطِنِ هُوَ الْأَسَاسُ؛ أَمَّا التَّعَامُلُ وإِجْرَاءُ الْأَحْكَامِ فَعَلَى الظَّوَاهِر؛ فَلَيْسَ كُلُّ تَوْجِيهٍ اتِّهَامًا، وإِنَّمَا هُوَ لِلإِصْلَاح.

- ومُتَابَعَةُ الْمُتَرَبِّينَ فِي الْمَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ تَكُونُ كَالْآتِي:

١ – مُتَابَعَةُ أَحْوَالِهِمْ وأَحْوَال قُلُوبِهِمْ مَعَ اللهِ.

٢ – مُتَابَعَةُ مَظْهَرِهِمْ الْخَارِجِيّ وسُلُوكِهِمْ وتَعَامُلِهِمْ وأَلْفَاظِهِمْ.

٣ – مُتَابَعَةُ الْغِيَاب والتَّأْخِيرِ وسَبَب ذَلِكَ.

٤ – مُتَابَعَةُ الْمَوْهُوب والْمُتَمَيّز والسَّعْيُ إِلَى تَطْوِيرِه.

٥ – مُتَابَعَةُ الْمُقَصِّر والسَّعْيُ فِي إِصْلَاحِهِ وتَقْوِيمِهِ.

٦ – مُتَابَعَةُ أَصْحَاب الطَّاقَات وتَوْجِيهِهَا والانْتِفَاعِ بِهَا.

٧ – مُتَابَعَةُ الْمَحَاضِنِ والْبَرَامِج ومَدَى تَأْثِيرِهَا عَلَيْهِمْ، وثَمَرَتِهَا ونَتِيجَتِهَا.



قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "الرَّبَّانِيُّ: هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ" .

- الرَّبَّانِيُّ: نِسْبَةٌ إِلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- بِصِغَارِ الْعِلْمِ: بِمَبَادِئِهِ الأَوَّلِيَّةِ، وَمَسَائِلِهِ الهَامَّةِ السَّهْلَةِ الوَاضِحَةِ. يُعَلِّمُهُمْ جُزْئِيَّاتِهِ قَبْلَ كُلِّيَّاتِهِ، وَفُرُوعَهُ قَبْلَ أُصُولِهِ، وَمُقَدِّمَاتِهِ قَبْلَ مَقَاصِدِهِ. وَلَا يُقَالُ لِلْعَالِمِ: رَبَّانِيٌّ، حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا مُعَلِّمًا عَامِلًا .

- وهَذَا المَنْهَجُ دِرَاسَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ .

مَعْنَاهُ: تَقْرَءونَهُ ؛ أَيْ قِرَاءَةً بِإِعَادَةٍ وَتَكْرَارٍ؛ لِأَنَّ مادَّةَ "دَرَسَ" تَحُومُ حَوْلَ مَعانِي التَّأَثُّرِ.

قَالُوا: دَرَسَ الكِتَابَ إِذا قَرَأَهُ بِتَمَهُّلٍ لِحِفْظِهِ أَوْ لِلتَّدَبُّرِ؛ وَذَلِكَ لِفَهْمِهِ وَإِتْقَانِهِ.

فلابد من العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: "فاعلم أنه لا إله إلا الله"؛ فلابد للرباني من علم بمنهج، لأن السير إلى الله يحتاج إلى قوة علمية مع القوة العملية، ولابد أن يكون بينهما تناسب، فلا عمل إلا بعلم، والعلم هو الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.



١- العَقِيدَةُ: مَتْنُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ: حِفْظًا وَتَلْقِينًا وَشَرْحًا مُبَسَّطًا:

يَعْتَمِدُ تَدْرِيسُ العَقِيدَةِ فِي المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ عَلَى مَبْدَءِ التَّزْكِيَةِ بِالتَّوْحِيدِ، قَالَ تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، يعني: لا يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِالتَّوْحِيدِ. وَمَنْهَجُنَا يَتَبَنَّى قَضِيَّةَ تَبْسِيطِ العَقِيدَةِ، مَعَ عَدَمِ التَّوَسُّعِ فِي الرَّدِّ عَلَى المخَالِفِ؛ بل تلقين الحق والتَّرْكِيزُ عَلَى توسيعِ آفَاقِ العَقِيدَةِ فِي تأثيرها على النُّفوسِ وَالسُّلُوكِ، وَمُوَاجَهَةِ الشِّرْكِيَّاتِ العَصْرِيَّةِ: مِنْ عِبادَةِ النَّفسِ، وَتَأْلِيهِ الشَّهَوَاتِ، وَشِرْكِ الحَاكِمِيَّةِ وَمُعَالَجَةِ قَضِيَّةِ القَضَاءِ وَالقَدَرِ.

٢- الفِقْهُ: كِتَابُ «العُدَّةِ شَرْحُ العُمْدَةِ» فِي الفِقْهِ الحَنْبَلِيِّ:

حِينَمَا يَعْتَمِدُ مَنْهَجُ المَدْرَسَةِ الرَّبَّانِيَّةِ التَّزْكِيَةَ مَبْدَأً عامًّا؛ فإنَّهُ فِي تَدرِيسِ الفِقْهِ لا بُدَّ مِنَ التَّرْكِيزِ فِي البِدَايَةِ عَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ فِي التَّعَبُّدِ بِالدَّلِيلِ؛ وَلَكِنْ لِدِرَاسَةِ الفِقْهِ عَنْ طَرِيقِ المَذَاهِبِ -وَهِيَ الطَّرِيقَةُ المعْتَمَدَةُ لدى جَمِيعِ الفُقَهَاءِ مِنَ السَّلَفِ- يَنْبَغِي أَنْ نُؤَكِّدَ أَنَّ المَقْصِدَ هُوَ: أَنْ نَفْهَمَ الفِقْهَ، لا أَنْ نُلْقِنَهُ وَنَدْرُسَهُ وَنَتَبَاهَى وَنُنَاظِرَ وَنُوَالِيَ وَنُعَادِيَ عَلَى المسَائِلِ؛ لِذلكَ فَإنَّ دِرَاسَةَ كِتَابِ العُدَّةِ فِي حُدُودِ كِتَابِ العُدَّةِ، وَلَيْسَ المَقْصُودُ الفِقْهَ المُقَارَنَ وَمُنَاقَشَةَ الأَدِلَّةِ؛ وَذلِكَ لِيَفْهَمَ الطَّالِبُ المُبْتَدِئُ مَعَنَى كُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ حَرْفٍ وَكُلِّ جُزْئِيَّةٍ وَكُلِّ بَابٍ وَكُلِّ فَصْلٍ وَكُلِّ كِتَابٍ؛ فَالمَقْصُودُ أَنْ يُعْطَى مِفْتَاحَ الفِقْهِ قَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ؛ وَلِذلِكَ عَلَى المُدَرِّسِ الرَّبَّانِيِّ وَالطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ أَنْ يَصْبِرَا عَلَى هَذا الكِتَابِ حَتَّى يُتِمَّا، وَلا يَنْبَغِي أَنْ نَسْتَزِيدَ عَلَى الكِتَابِ مِنْ غَيْرِهِ؛ بَلِ الاكْتِفَاءُ بِهِ للتعلم لا لِلتَّعَبُّدِ؛ فَإِنَّ لِلتَّعَبُّدِ شَأْنًا آخَرَ، وهُوَ اتِّبَاعُ الدَّلِيلِ الرَّاجِحِ بِفَهْمِ السَّلَفِ.

١- التَّفْسِيرُ: ابْنُ كَثِيرٍ (أَصْلٌ)، وَالحَاشِيَةُ مِنْ «أَضْوَاءِ البَيَانِ» فِي العَقِيدَةِ، وَالقُرْطُبِيِّ فِي الفِقْهِ وَاللُّغَةِ: القُرْآنُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا القُرْآنُ! وَالتَّفْسِيرُ وَخُطُورَةُ التَّفْسِيرِ!

كَانَتْ بِدَايَةُ التَّرْبِيَةِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ لِلصَّحَابَةِ بِالقُرْآنِ وَحْدَهُ؛ وَلِذلكَ فَإِنَّ خُطَّةَ المَدْرَسَةِ

الرَّبَّانِيَّة فِي التَّفْسِيرِ هِيَ التَّدَبُّر، وَتَعْمِيمُ المَعَانِي، وَإِسْقَاطُ المَعَانِي عَلَى الوَاقِعِ، وَوَخْزُ القُلُوبِ لِتَفِيقَ وَتَفِيءَ إلى كَلامِ اللهِ؛ فَتُحِبَّهُ وَتَشْتَاقَ إِلَيْهِ، وَمَقْصُودُ التفسِيرِ في المَدْرَسَةِ: "حِفْظ بِفَهْمٍ"؛ فالمطلبُ حِفظُ القُرْآنِ وَفَهْمُهُ.

٣- السِّيرَةُ العَطِرَةُ: كِتَاب «مَدْرَسَةُ السِّيرَة":

سِيرَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ هِيَ حَيَاتُنَا، وَهِيَ المثلُ الأعلى لِلرَّبَّانِيِّ فَلذلِكَ نَدْرُسُ السِّيرَةَ وَنَحْنُ نَتَمَثَّلُ أَنْفُسَنَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ، أَوْ نَتَمَثَّلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْنَ ظَهْرَانِيْنَا؛ فَنعِيشُ السِّيرَةَ وَتَعِيشُ فِينَا وَبِنَا.

٤- التَّزْكِيَةُ: كِتَابُ «مَذَاقَاتٌ رُوحِيَّة»:

التَّزْكِيَة سِرُّ هَذِهِ المَدْرَسَةِ وَرُوحُهَا وَهَدَفُ أَهْدَافِهَا؛ لِذلِكَ فَالعَمَلُ عَلَيْهَا، وَتَعْتَمِدُ عَلَى بَرَامِجَ مُتَعَادِلَةٍ فِي الفَهْمِ وَالدِّرَاسَةِ وَالعِبَادَةِ، تَسِيرُ فِي خُطُوطٍ مُتَوَازِيَةٍ. وَكِتَابُ المَذَاقَاتِ عِشْرُونَ رَكِيزَةً مِنْ رَكَائِزِ الأَعْمَالِ القَلْبِيَّةِ، تُدْرَسُ بِأَنَاةٍ وَرَوِيَّةٍ، وَيُتَعَبَّدُ بِكُلٍّ مِنْهَا قَبْلَ الانْتِقَالِ إِلَى غَيْرِهَا؛ فَهِيَ عَلَى مَدَارِ السَّنَتَيْنِ عِلْمٌ وَعِبَادَةٌ وَمُتَابَعَة وَتَصْحِيحٌ.

٥- أُصُولُ الدَّعْوَةِ: كِتَابُ «أُصُولُ الفِقْهِ الدَّعَوِيِّ»: يَعْتَمِدُ هَذَا العِلْمُ أَيْضًا عَلَى التَّأْصِيلِ الرَّبَّانِيِّ لِلدَّعْوَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ الكَلامِ عَلَى الأُصُولِ العِلْمِيَّةِ أَوِ الفِكْرِيَّةِ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ.

٦- أُصُولُ الفِقْهِ: كِتَابُ «الأُصُولُ مِنْ عِلْمِ الأُصُولِ» لِابْنِ عُثَيْمِينَ -رَحِمَهُ اللهُ:

وَالمَقْصُودُ مِنْ أُصُولِ الفِقْهِ لَيسَ العِلْمَ الأَكَادِيمِيَّ؛ بَلْ أَنْ يَكُونَ الرَّبَّانِيُّ عَلَى عِلْمٍ بِمَعْنَى الفَرْضِ وَالوَاجِبِ، وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ المَنْدُوبِ وَالرُّكْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الأُصُولِ لِتَقُومَ عِبَادَتُهُ عَلَى عِلْمٍ.

٧- مُصْطَلَحُ الحَدِيثِ: كِتَابُ «البَيْقُونِيَّة» بِحِفْظِ مَتْنِهَا وَشَرْحِ رُمُوزِهَا:

(اِعْلَمْ أَنَّ آنَفَ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَمِفْتَاحِهَا، وَمِشْكَاةَ الأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَمِصْبَاحِهَا، وَعُمْدَةَ المَنَاهِجِ الفِقْهِيَّةِ وَرَأْسِهَا، وَمَبْنَى شَرَائِعِ الإِسْلامِ وَأَسَاسِهَا، وَقَاعِدَةَ جَمِيعِ العَقَائِدِ دِقِّهَا وَجِلِّهَا، وَسَمَاءَ العِبَادَاتِ وَقُطْبَ مَدَارِهَا، وَمَرْكَزَ المُعَامَلاتِ وَمَحَطَّ حَارِهَا وَقَدْرِهَا؛ هُوَ عِلْمُ الحَدِيثِ).

وَالمَقْصُودُ التَّزْكَوِيُّ مِنْ عِلْمِ مُصْطَلَحِ الحَدِيثِ: هُوَ التَّعَبُّدُ للهِ تَعَالَى بِالمَقْبُولِ مِنَ الأَخْبَارِ وَتَرْكِ المَرْدُودِ؛ وَذَلِكَ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ أَنْوَاعِ الحَدِيثِ، وَفَهْمِ مُصْطَلَحَاتِ الأَسَانِيدِ وَالمُتُونِ.



قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ

◎ صفاتهم: فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ

وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾

◎ دعاؤهم: وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا

وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾

◎ ثوابهم: فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ

وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

(سورة آل عمران)